إعجاز
القرآن الكريم

تأليف الدكتور
عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني
أستاذ اللغة العربية والنحو القرآني

الطبعة الرابعة
الموصل
١٤٣٨هـ=٢٠١٨م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٠٢ لسنة ٢٠٠٩م

مقدمة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والْحَمْدُ للّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، مَـلِكِ يَـوْمِ الـدِّينِ ، والصَّـلاةُ والسَّـلامُ عَلَـى مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ، وخـاتَمِ النَّبيـين ، وعَلَـى آلِـهِ وأصْـحابِهِ أجْمَعِين ، مـن الأنصـارِ والمهـاجرين ، والـذين اتبعـوهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين

وبعد ، فهذا كتابي : إعجاز القرآن الكريم ، أسأل الله ، جلَّ شأنه ، أن ينفع به المسلمين ، وأسأله سبحانه ، أن يتقبَّله منِّي عملًا خالصًا لوجهه الكريم ، اللهمَّ آمين .

وقد ألَّفتُ هذا الكتاب وفقًا للمواد التي تقرر تدريسها لطلاب المرحلة الرابعـة فـي قسم التربيـة الإسـلامية/كليـة التربيـة الأساسـية ، ورتَّبتُ مواضـيعه حسب المنهج المقرر ، وتتمة للفائدة أضفتُ إليه موضوع : الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، واقتصرتُ فيه على ذكر عدة شواهد ونماذج مختارة من هذا الإعجاز

التعريف بالقرآن الكريم

تعريف القرآن لغة واصطلاحًا :

القرآن فـي اللغـة ، مصـدر : قَرَأَ ، كـالغفران ، مصـدر : غَفَرَ ، ومنـه قولـه تعـالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾{القيامة : ١٦-١٩}

وفي الاصطلاح : هو كلام الله تعالى ، المُنَزَّل على الرسول محمد ، صلَّى الله عليه وسلَّم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول عنه نقلاً متواترًا ، بلا شبهة ، المبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس ، المُتَعَبَّد بتلاوته ، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وهو التشريع الخالد للناس كافة ، في كل زمان ومكان .

القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى

الله ، تعالى ذكره ، الذي أنزل القرآن الكريم ، أنزل الكتب السماوية التي قبله ، التي منها : التوراة ، والزبور ، والإنجيل ، وما نراه الآن من هذه الكتب ، هو خلاف الأصل الذي أُنزِل على رسل الله : موسى ، وداود ، وعيسى ، عليهم السلام ؛ ذلك أنَّ الله ، سبحانه ، لم يتعهد بحفظها ، كما تعهد بحفظ القرآن الكريم ، ولهذا فثمة فروق أساسية بين هذه الكتب الموجودة الآن ، والقرآن الكريم ، وهي :

١–الكتب التي أنزلها الله قبل القرآن الكريم ضاعت نسخها الأصلية جميعها ، مما اضطر أتباعها بعد مئات السنين أن يكتبوها بأنفسهم ، وحسب ما وصل إليهم من أخبارها ، وما تضمنته من تعاليم ، وهذه الكتب نفسها أخذت تُتَرجم جيلاً بعد جيل ، فافتقدت صفتها الربانية منذ زمن بعيد ؛ لأنَّ الكتاب المترجَم يُعد كلام المترجِم ، لا كلام الله ، أمَّا القرآن الكريم ، فهو منذ نزوله محفوظ بلفظه وكلماته ، ووصل إلينا بالتواتر .

٢–اختلط كلام الناس من مدونين ، ومؤرخين بتلك الكتب ، أمَّا القرآن الكريم ، فلم يختلط به شيء ، حتى من كلام رسول الله ، صلى الله عليه وسلَّم ، وقد نهى النبي ، عليه الصلاة والسلام ، من كتابة الحديث في بداية نزول القرآن الكريم ، من أجل أن لا يختلط الحديث بالقرآن ، وكتبُ الحديث والتفسير والفقه مستقلة تمامًا عن القرآن ، كما هو معروف

٣–لم يستطع أحد أن يثبت بسند تاريخي ، أنَّ أيًّا من هذه الكتب الموجودة الآن ، نزل على النبي الذي نُسب إليه ذلك الكتاب ، كما أنَّه لم يمكن تعيين الزمن الذي نزل به ، بخلاف القرآن الكريم ، فقد عُلِم زمن نزوله ومكانه ، على النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، سورة سورة ، وآية آية ، ثبت ذلك ، لا بالسند التاريخي فحسب ، بل هو ثابت أيضًا ، بالنقل المتواتر الجماعي والمتصل حتى يومنا هذا .

٤-لغات الكتب السماوية السابقة ، اندرست منذ زمن طويل ، فلم نجد الآن من يتكلم بها ، أو يفهمها ، أمَّا لغة القرآن الكريم ، فهي لغة بقيت حية ، يتكلم بها إلى الآن مئات الملايين من المسلمين .

٥-أحكام كل من الكتب السابقة ، كما يبدو من قراءتها ، خاصة بالزمن ، والأُمَّة التي نزلت فيها تلك الكتب ، بينما أحكام القرآن عامَّة لكل الناس ، في كل زمان ومكان .

٦-كل من الكتب السابقة ، وإن كان فيها دعوة إلى الخير والصلاح والأخلاق ، فإنَّها لم تستوف الفضائل كلها ، أمَّا القرآن فقد استوفى الفضائل كاملة ، سواء نصت عليها الكتب السابقة أم لا .

٧-شرائع الكتب السابقة اختصت بالعلاج الروحي ، أمَّا شريعة القرآن الكريم ، فقد وضعت المبادئ الكلية الكفيلة بحل مشاكل الإنسان ، وتلبية حاجاته المادية والروحية على حد سواء .

٨-تسرَّب إلى كل من الكتب السابقة التحريف ، والأُمور التي تقوم على الظلم ، ولا توافق العقل ، بل تحوي أُمورًا من قبيل الفحشاء والمنكر ، أمَّا القرآن الكريم ، فإنَّه صلاح كله ، ومنزّه عن الفاحشة ، وليس فيه ما يخالف العقل والمنطق.

٩-اكتشف الباحثون بعد تطور العلم ، أنَّ كلّ الإشارات الكونية ، والطبيعية ، التي أشار إليها القرآن الكريم عرضًا ، موافقة ومطابقة لأحدث الحقائق التي توصّل إليها علماء هذا العصر ، بخلاف ما جاء في الكتب السابقة الموجودة في الوقت الحالي .

حفظ القرآن الكريم

جاء في كتب التفسير: سُئل القاضي إسماعيل بن إسحاق بن حماد الأزدي ، الإمام المفسر المتوفى سنة ٣٨٢هـ ، الذي قالوا عنه : إنّه لم تحصل درجة الاجتهاد واجتماع آلته بعد مالك إلّا لإسماعيل القاضي ، سُئل عن السرّ

في تطرق التغيير للكتب السالفة ، وسلامة القرآن الكريم منه ، فأجاب : إنّ الله أوكل للأحبار حفظ كتبهم قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[المائدة : ٤٤] وتولّى الله حفظ القرآن بذاته . فقال : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر :٩] أي : حافظون له من الشياطين ، وفي كل وقت تكفل الله بحفظه . فلا يعتريه زيادة ولا نقصان . ولا تحريف ولا تبديل بخلاف غيره من الكتب المتقدمة ، فإنّه تعالى لم يتكفل بحفظها ، بل قال : إنّ الربّانيين والأحبار استحفظوها ، ولذلك وقع فيها الاختلاف .

وحفظ الله للقرآن دليل على أنَّه منزل من عند الله تعالى ، إذ لو كان من قول البشر لتطرق إليه ما تطرق لكلام البشر ، وقيل يحفظه في قلوب من أراد بهم خيرًا ، لو غيَّر أحد نقطة لقال له الصبيان : كذبت ، وصوابه كذا ، ولم يتفق هذا لشيء من كتب سواه .

وذكر القرطبي في تفسيره أنّ يحيى بن أكثم المتوفى سنة ٢٤٢هـ وكان قاضيًا رفيع القدر عالي الشهرة من نبلاء الفقهاء ، حكى أنَّه كان للمأمون ، وهو أمير إذ ذاك ، مجلس نظر، مجلس يجتمع فيه الناس والعلماء ، فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الهيئة ، طيّب الرائحة ، فتكلم فأحسن الكلام ، دعاه المأمون ، فقال له : إسرائيلي ؟ قال : نعم ، قال له : أسلمْ ، فقال ديني ودين آبائي ، وانصرف ، قال : فلما كان بعد سنة جاء مسلمًا ، فتكلم في قضايا الفقه فأحسن الكلام ، فدعاه المأمون وقال له : ألستَ صاحبنا بالأمس ؟ قال له : بلى ، فقال : ما كان سبب إسلامك ؟ فقال : حين انصرفت في العام الماضي من مجلسك أحببتُ أن أمتحن هذه الأديان ، وأنت تراني حسن الخط ، قال : فعَمَدتُ إلى التوراة فكتبت منها ثلاث نسخ ، فزدتُ فيها ونقصتُ ،

فأدخلتها الكنيسة فعرضتها عليهم لبيعها ، فأُعجبوا بها ، ورحبوا بي ، فاشتروها مني ، وعمدت إلى الإنجيل ، فكتبت ثلاث نسخ منه ، فزدتُ فيها ونقصتُ وأدخلتها البيعة فعرضتها عليهم لبيعها ، فرحبوا بي ، بعد أن أُعجبوا بها واشتروها مني ، وعمدت إلى القرآن فكتبت منه ثلاث نسخ ، فزدتُ فيها ونقصتُ وأدخلتها الوراقين ، وهم الذين كانوا يورقون القرآن الكريم ويكتبونه ، فعرضتها عليهم ، وهي حسنة الخط ، فتصفحوها فلمّا أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموها ، ولم يشتروها مني ، فعلمتُ أنّ هذا الكتاب محفوظ ، فكان هذا سبب إسلامي .

قال يحيى بن أكثم راوي هذه القصة ، فحججتُ تلك السنة فلقيت سفيان بن عُيينة المتوفى سنة ١٩٨هـ وهو من الموالي ، سكن مكة وتوفي فيها ، كان حافظًا ثقة واسع العلم كبير القدر ، قال الشافعي : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، له الجامع في الحديث وكتاب في التفسير ، قال يحيى فذكرت لسفيان هذا خبر إسلام هذا اليهودي ، فقال : تجد مصداق ذلك في كتاب الله عز وجل ، فقلت : في أي موضع ، قال : في قول الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل : ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّـهِ﴾[المائدة :٤٤] فجعل حفظه منوطًا بهم فضاع ، أمّا القرآن ، فقد قال فيه سبحانه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر :٩] فتكفّل الله عز وجل ، بنفسه حفظه ، فلم يضع .

وقد كانت إحدى الحقائق التي أكدها الطبيب الفرنسي موريس بوكاي في كتابه (الكتاب المقدس والقرآن والعلم دراسة الكتب السماوية في ضوء المعارف العصرية) : أنّ القرآن حُفظ من أيّ تحريف كان ، ومما ذكره في هذا الباب: " إنّ القرآن بقي كما نزل على محمد ﷺ لم تمسّه يد تغيير، حفظ في الصدور وقت نزوله ودونته كتبة الوحي وضمه المصحف الشريف " وأثبت أنّ التوراة والأناجيل أصابها كثير من التحريف عبر قرون طويلة ، كما أثبت

تناقضها الفظيع[١] ويقول الدكتور صبحي الصالح : والذي يعلمه علم اليقين كل باحث مثقف أنّ كتابًا غير القرآن لم يحظ بالعناية التي أحيط بها ولم يصل إلينا كما وصل فجاء كما قال شفالي: " أكمل وأدق مما يتوقعه أيّ إنسان[٢] وقد استنسخ المسلمون من المصحف العثماني آلاف النسخ جيلًا بعد جيل، وقد بقي المصحف العثماني نفسه على الرغم من انتفاء الحاجة إليه حتى سنة ١٣١٠هـ حيث كان محفوظًا في مقصورة في مسجد بدمشق وله بيت من خشب[٣].

وقد ثبت في الحديث الصحيح أنّ النبي ، صلى الله عليه وسلَّم قال : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلّها في النار ، إلّا واحدة ، قيل من هي يا رسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي . رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم ، وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم : ستفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلّا واحدة . رواه جماعة من الأئمة ورواه الترمذي في سننه ورواه ابن ماجة ورواه الإمام أحمد في المسند والحاكم في المستدرك ، وهو حديث مشهور وله طرق متعددة .

فلولا تعهد الله بحفظ هذا القرآن ؛ لكان اليوم لكل فرقة ، ماعدا الفرقة الناجية ، قرآن مكتوب حسب هواهم ؛ فلله الحمد أولًا وآخرًا

تاريخ دراسة الإعجاز في القرآن الكريم

أعطى الله كلّ رسول المعجزة التي تؤيد أنَّه رسول من عند الله ، وتكون من جنس ما يُعنى به قوم الرسول ، لتكون أبلغ في التحدي ، فقد كان قوم موسى يُعنون بالسحر ، وقد جمع فرعون لنفسه آلاف السحرة ، ليبرهن من خلال سحرهم أنّه ملكهم وربّهم الأعلى ، فأيّد الله سبحانه رسوله موسى بمعجزة

---

(١) مجلة آفاق عربية، السنة الثانية، العدد (١) لسنة ١٩٧٧م.
(٢) مباحث في علوم القرآن نقلًا من مصدر أجنبي، ص ٨٩
(٣) المصدر نفسه، ص٨٩، هامش م٣.

فاقت سحر الساحرين وأعجزتهم بأن يأتوا بمثلها ؛ لذلك آمن السحرة وقالوا: (آمنا برب العالمين) وكان قوم عيسى يُعنون بالطب فأيَّد الله سبحانه رسوله عيسى عليه السلام بمعجزة طبية ، وكان قوم محمد ﷺ يُعنون بالكلام حتى صاروا أعظم الأمم في لغتها وفصاحة لسانها وبلاغة أشعارها ؛ ولم تكن ثمة أُمَّة تجاريهم في هذا الميدان ؛ لذلك جعل الله سبحانه معجزة نبينا محمد ﷺ هي القرآن الكريم ، المتمثلة في لغته ، فخاطبهم : إن كنتم تشكّون في القرآن بأنّه ليس من كلام الله ، وتقولون: إنَّه من تأليف محمدﷺ فإنَّ محمداً ﷺ واحد منكم ، وبشر مثلكم ، ولم يُعرف عندكم من قبل نزول القرآن عليه أنَّه كان أبلغكم ، أو أشعركم ، بل لم يكن شاعرًا، وما تزالون تقولون : إنّكم أبلغ منه كلامًا ، فإذا كان هذا القرآن من تأليفه ، فأْتوا إذن بمثله ، فعجزوا ؛ لذلك عُني اللغويون القدامى بدراسة الجانب البلاغي في القرآن الكريم ، ولكن هذه الدراسة كانت في بداية التأليف اللغوي ، مجرد إشارات متناثرة في كتب النحو واللغة ، وفي كتب التفسير ، وظهرت العناية بها حين استقلت في كتب خاصة ، التي منها : إعجاز القرآن لمحمد بن الطيب ، القاضي الباقلّاني ، المتوفى سنة ٤٠٣هـ ، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، المتوفى سنة ٤٧١هـ وقد تناول الجرجاني في هذا الكتاب مختلف فنون البلاغة ، كالكناية ، والتشبيه ، والاستعارة ، وبيَّن فيه العلاقة بين اللفظ والمعنى ، كما ربط أُصول النحو بالمعاني والأساليب ، وخرج من كتابه هذا بنتيجة أنَّ القرآن الكريم أصبح معجزًا بحسن نظمه ، وتناسق ألفاظه ، وهذا ما سُمِّي نظرية النظم ، ومن الكتب الأخرى التي أُلفت في هذا الباب

- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، لابن الزملكاني ، المتوفى سنة ٦٥١هـ .

- وبصائر ذوي التمييز بلطائف الكتاب العزيز ، للفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ

–ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ

– ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ، للسيوطي المتوفى ٩١١هـ .

كما عُني القدامى بتأليف الكتب التي بيَّنوا فيها أدق الفروق الدلالية في الآيات التي تشابهت ألفاظها وتراكيبها ، ككتاب :

–درّة التأويل وغرّة التنزيل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للخطيب الاسكافي المتوفى سنة ٤٢٠هـ .

– والبرهان في توجيه متشابه القرآن ، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني المتوفى سنة ٥٠٥هـ .

– وفوائد في مشكل القرآن لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ .

–وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ، في توجيه المتشابه اللفظ ، من آي التنزيل ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي المتوفى سنة ٧٠٨هـ

وواصل علماء اللغة المحدثون دراسة هذا الجانب من الإعجاز في القرآن الكريم ، وألَّفوا ، كالقدامى ، كتبًا في هذا الميدان منها :

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي .
- البيان في إعجاز القرآن ، لصلاح الخالدي .
- الإعجاز في نظم القرآن ، لمحمود السيد شيخون
- المباحث اللغوية في ضوء قضية الإعجاز القرآني ، لأحمد جمال العمري .
- التصوير الفني في القرآن الكريم ، لسيد قطب .

وقد وسع المحدثون دائرة الإعجاز ، لتشمل الجوانب الأخرى غير الجانب اللغوي ، فألَّفوا مئات الكتب التي تناولت إعجاز القرآن في مختلف

العلـوم : الكونيـة ، والفلكيـة ، والطبيعيـة ، والطبيـة ، والنفسـية ، والغيبيـة ، والتاريخية ، ومن هذه الكتب :

١-القرآن والعلم الحديث ، لمحمد عبد الرزاق نوفل .

٢-معجزة الأرقام والترقيم في القرآن ، لمحمد عبد الرزاق نوفل

٣-إعجاز القرآن في حواس الإنسان ، لمحمد كمال عبد العزيز

٤-إعجاز القرآن في خلق الإنسان ، لمحمد كمال عبد العزيز .

٥-الطبيعيات والإعجاز العلمي للقرآن ، لعبد العليم عبد الرحمن خضر

٦-الظـواهر الجغرافيـة بـين العلـم والقـرآن ، لعبـد العلـيم عبـد الـرحمن خضر .

٧-الإعجاز العلمي في القرآن ، للسيد الجميلي .

٨-الإعجاز الفكري في القرآن ، للسيد الجميلي .

٩-الإعجاز الطبي في القرآن ، للسيد الجميلي .

١٠-الإعجـاز العلمـي ، وجوهـه وأسـراره ، لعبـد الغنـي محمـد بركـة ، ونحـو هـذه الكتـب التـي تكـاد لا تحصـى ، ولا ينقطـع التـأليف فيهـا حتـى قيـام الساعة .

إعجاز القرآن الكريم ونظرية الصرفة

نُسب إلـى بعض العلمـاء المسلمين ، من بينهم : واصل بن عطـاء ، أبرز زعماء المعتزلة قولهم بأنّ القرآن الكريم أصبح معجزًا ؛ لأنّ الله ، سبحانه ، صرف العرب عن أن يأتوا بمثله ، وقد ردّ هذا القول علماء السلف ، ولا أُريد في هذا المقام أن أُعيد ردودهم ؛ لأنّها نظرية تحمل في طياتها ما يقوّض نوايا القائلين بها ؛ فأقول ومن الله الهدى والسداد : إنّ هذا القول باطل ، وهو برغم بطلانه يتضمن ما يأتي

١–هذا القول لا يقول به مسلم مؤمن بالله ، ولا يستبعد أن يكون صادرًا من أعداء القرآن ، فأرادوا إشاعة شبهة القول بالصرفة عن طريق نسبها إلى علماء ينتسبون إلى الإسلام .

٢–القول بالصرفة يتضمن أنّ القائلين به يعترفون بأنَّ الله قادر على كل شيء ؛ لذلك قدر على أن يصرف العرب ، وهم أفصح الأمم قاطبة من أن يؤلِّفوا مثل القرآن ، فإذا كان الله باعترافهم قادرًا على أن يجعل إعجاز القرآن قائمًا بصرف كل البشر عن أن يأتوا بمثله ؛ فهو قادر أيضًا على أن يجعل إعجازه قائمًا بذاته ، بألفاظه وكلماته ، فإذا قدر الله على ذاك قدر على هذا ؛ فلا حاجة إذن بعد ذلك إلى أن يصرف الله العرب عن أن يأتوا بمثله .

٣–الغاية من وجود الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، هي إثبات أنَّ القرآن الكريم كلام الله ، والقائلون بالصرفة أثبتوا ذلك بما قالوا به ؛ إذ القول بالصرفة قائم على أساس أنَّ القرآن الكريم كتاب الله ، فكأنَّهم يريدون أن يقولوا : فلأنَّ القرآن كلام الله ، صرف الله العرب من أن يأتوا بمثله ، ولو كان كلام البشر ؛ لما كان ثمَّة حاجة إلى صرف البشر عنه .

٤–إذن القائلون بالصرفة أكَّدوا أنَّ القرآن الكريم كلام الله ، وكلام الله صفة من صفات الله ، وهذا يعني أنَّه يختلف عن كلام كلّ البشر ؛ وأنَّه ليس من كلام يشبه كلام الله ، ؛ لأنَّه ، سبحانه ، كما أخبر عن نفسه : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾{الشورى : ١١} فكذلك صفاته ليست كمثلها شيء ؛ فيكون القائلون بالصرفة قد أثبتوا من حيث لم يشعروا بأنّ القرآن الكريم كلام الله ، وأنَّه ليس كمثل كلامه كلام .

تحقق شروط الإعجاز في القرآن الكريم

أثبت القرآن الكريم إعجازه ؛ لأنَّه توافرت فيه شروطه ، وهي :

١–التحدي : فالقرآن الكريم تحدَّى العرب جميعها ، وأثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله ، وهم أرباب الفصاحة ، والبيان شعرًا ونثرًا ، قال الله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ

تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ {٣٣} فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ){الطور :٣٣-٣٤} وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله ، قال الله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {١٣} فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ{١٤}) [هود:١٣-١٤]

فلمّا عجزوا أن يأتوا بعشر سور مثله ، تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من سوره ، وهذا يشمل أيضًا السور القصار ، فعجزوا كذلك ، قال الله تعالى (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {٢٣}فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ {٢٤}) {البقرة :٢٣-٢٤}

فلمَّا عجزوا تحدَّى الإنسَ والجنَّ ، قال الله تعالى (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا الإسراء : ٨٨})

٢-وجود الدافع الذي يدفع العرب لتحدي القرآن الكريم ؛ لأنَّ الرسول ، صلى الله عليه وسلَّم ، قد تحدَّاهم به ، وسفَّه عبادتهم ، وسخر من عقولهم ، فهذا مما جعلهم حريصين أشدّ الحرص على تحدي القرآن الكريم ، وعلى ردِّه بأن يأتوا بمثله ، أو بعضه ؛ ليدحضوا حجته ، فعجزوا من تحدّيه على الرغم من وجود هذا الدافع القوي لتحدِّيه .

٣-عدم وجود مانع يمنع العرب من تحدِّي القرآن الكريم ، ويتضح هذا من ثلاثة جوانب :

١-جانب اللغة : فقد كانوا أبلغ الأمم لسانًا ، وكانوا قادة الفصاحة بشعرهم ونثرهم ، وقد نزل القرآن بلسانهم ، قال الله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ){يوسف : ٢} .

٢-جانب المعنى : فقد كان العرب على بصيرة وخبرة وذكاء ، كما يتضح ذلك مما أُثِر عنهم ، ودُوِّن من خطبهم ومنافراتهم التي اتسمت بسمو المعاني والبيان .

٣- جانب الزمن : لم يُوضع شرط لأن يأتوا بمثل هذا القرآن في يوم ، أو أيام ، بل القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة ، بل نزل مُنَجَّمًا ، سورة سورة ، أو آيات آيات ، حتى اكتمل في غضون ثلاث وعشرين سنة ، فكان لهم مجال طويل من الوقت ليتمكنوا من تحدِّيه ، إلّا أنَّهم على الرغم من ذلك ؛ عجزوا عن الإتيان بمثله ؛ لذلك آثروا بدلًا من تحدِّيه في ميدان اللغة ، على تحدِّيه باستخدام السيف ، والقوة ، والتجويع ، والتهجير ، فقد وجدوا اتّباع هذه الوسائل كلّها ، أيسر عليهم من أن يأتوا بمثل آية واحدة من آياته .

فقد كان العرب يطربون لسماع القرآن الكريم ، لعظم بلاغته ، وسمو بيانه ، حتى بلغ تأثّرهم به أن خرّوا لروعته ساجدين ، وشغفوا بتلاوته ليل نهار ؛ مما دفع العلماء العرب إلى البحث عن معرفة سر هذا الإعجاز ، وقد عزوه لعدة أسباب ، منها :

١-إخباره بالغيب .

٢-بلاغته في إيصال المعنى بأحسن صورة من الألفاظ .

٣-جمال الألفاظ ، وحسن النظم ، وسمو المعاني .

٤-تأثيره في النفوس .

٥-الانسجام بين أجزائه وسوره .

٦-موسيقاه الداخلية .

٧-تضمنه موسيقى الشعر وحلاوته وحرارته ، وعذوبة النثر وانطلاقه .

والحقيقة أنَّ القرآن الكريم معجز لهذا كلّه ، ولأمور أخرى ، يحسّ بها السامع ، ولا يستطيع أن يفصح عنها ، ولهذا فقد تعددت ميادين إعجازه .

إعجاز القرآن الكريم ، تعريفه ومميزاته

الإعجاز في اللغة ، مصدر الفعل : أعجز ، وأعجز فلانًا جعله عاجزًا ، أو وجده عاجزًا ، وأعجزه الشيءُ فاته ، ولم يقوَ عليه ، وأعجز في الكلام : أدَّاه بأبلغ أسلوب .

وهو في الاصطلاح : تأدية المعنى بأُسلوب بليغ ، أبلغ من جميع الأساليب الأخرى ؛ حتى إنَّه لَيعجز غير كاتبه عن تقليده .

أمَّا إعجاز القرآن فمعناه في اللغة : إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحدَّاهم به ، وهو من إضافة المصدر إلى فاعله ، والمعجزة هي الأمر الخارق للعادة ، والمقرون بالتحدي ، يوقعه الله على يد نبي ؛ ليكون حجة له في دعوته ، وبرهانًا على صدقه فيما يبلغ عن ربه ، عز وجل ، وإعجاز القرآن الكريم يتميز بميزتين:

الأولى : أنَّه إعجاز مستمر في تطوره ؛ ذلك أنَّه في كلّ جيل يكتشف فيه دارسوه قضايا جديدة من الإعجاز تضاف إلى قضايا إعجازه السابقة ، وقد أصبحوا على يقين بأنَّ هذه الحالة مستمرة إلى يوم الدين، مصداقًا لقوله ﷺ: إنَّ هذا القرآن لا تنتهي عجائبه ، ومن هنا عُدَّ القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة.

والثانية : أنَّ إعجاز القرآن الكريم متعدد الجوانب ، وفي الميدانين الأدبي والعلمي ، وأوجه هذا الإعجاز يمكن إجمالها فيما يأتي .

الإعجاز اللغوي

ما كُتب عن الإعجاز اللغوي للقران الكريم كثير ، لا يمكن حصره ، وفيما يأتي نذكر نماذج يسيرة جدًّا منه :

١ –**استعمال (الريح) و(الرياح)** : استعمل القرآن الكريم (الرياح) فيما هو نعمة وخير للإنسان ، قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) [الأعراف:٥٧] وقال تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء

فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ)[الحجر:٢٢] ، وقال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ) [الروم:٤٦] ، في حين استعمل القرآن (الريح) في مقام العذاب ، قال الله تعالى: (إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا) [الأحزاب : ٩]

وقال تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ) [القمر:١٩] ، وقال تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) [الحاقة:٦]

والسرّ في ذلك أنَّ الرياح إذا كانت متعددة كانت باتجاهات مختلفة فتحدّ بعضها من سرعة بعض ، فتنشأ منها رياح معتدلة خفيفة يأتي منها الخير ؛ لذلك استعملها القرآن في هذا المقام ، أمّا الريح فإنها حين تكون منفردة ، تكون غالبا شديدة الهبوب سريعة لا يأتي منها إلّا الشر ؛ لذلك استعملها القرآن الكريم في مقام العذاب والهلاك ، إلّا في آية واحدة ، هي قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) [يونس:٢٢] وذلك أنّ السفينة لا تجري في البحر إلّا إذا كانت الريح باتجاه واحد ، فإذا تعددت ، تعددت اتجاهاتها مما يجعل السفينة في البحر تراوح في مكانها ، إلّا أنّ هذه الريح لا تكون كنظيراتها ريحًا مهلكة لقوتها وشدة سرعتها ؛ بل هي معتدلة خفيفة ؛ لذلك وصفها القرآن الكريم بأنَّها ريح طيبة .

٢-**التقديم والتأخير** : قال الله تعالى : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ){المائدة : ٣٨} قدَّم السارق على السارقة ؛ لأنَّ السرقة إنَّما تتولد من الجسارة والقوة والجرأة ، وهي في الرجل أقوى وأكثر ، فالرجل أقدر على السرقة من المرأة ؛ فقدمه لذلك .

وقال الله تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ){النور : ٢} قدَّم الزانية على الزاني ؛ لأنَّ المرأة هي الباعث على زنى الرجل ؛ إذ الزنى يحصل ابتداءً من إثارة المرأة شهوة الرجل الجنسية بعرض

مفاتنها الأنثوية أمامه ، كما أنَّه لولا تمكينها الرجل من نفسها ما وقع الزنى ؛ لذلك قدَّمها عليه .

وقال الله تعالى : (وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ){القصص : ٢٠} وقال الله تعالى : (وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ){يس : ٢٠}

قدَّم (رَجُلٌ) على (مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ) في سورة القصص ؛ لأنَّه هو الرجل نفسه الذي أثنى الله عليه ، في سورة غافر ، واشتهر لدى المفسرين بمؤمن آل فرعون ، قال الله تعالى : (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ){غافر : ٢٨} فقدَّمه للاهتمام به ، أمَّا الذي في سورة : يس ، فهو رجل آخر ، رجل اعتيادي ، من عامَّة الناس ، لم يتبيَّن له فضل يميّزه من غيره سوى مجيئه من أَقْصَى المَدِينَةِ لينصح الناس باتِّباع الرسل ؛ لذا قدَّم (مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ) عليه

وقال الله تعالى: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [الإسراء:٨٨]

الإنس في الكلام أبلغ من الجنّ ، بل الجان يتعلم اللغة من الإنسان ولهذا قدم الإنس على الجنّ في هذه الآية ؛ لأنَّها في مقام تحديهم في مجال اللغة ، إلّا أنَّه في قوله تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالأنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إلا بِسُلْطَانٍ){الرحمن:٣٣} قدم الجنّ على الإنس ؛ لأنَّ الجن سبق الإنس في اختراق الفضاء حتى إنَّه كان يصعد إلى السماء ويسترق السمع من الملائكة قبيل نزول القرآن الكريم ، ولم يزل أقدر منه في هذا الميدان.

٣-**في أموالهم حق معلوم** : قال تعالى: (إِلَّا الْمُصَلِّينَ {٢٢} الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ {٢٣} وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ {٢٤} لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {٢٥}){المعارج}

وقال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {١٥} آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ {١٦} كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ {١٧} وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ {١٨} وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ {١٩}) {الذاريات : ١٥-١٩}

فما السرّ من ذكر (معلوم) في سورة المعارج ، وعدم ذكرها في سورة الذاريات ؟

في سورة المعارج قال: (حَقّ معلومٌ) لأنَّها كانت في وصف من يجب عليه الحدّ الأدنى من الزكاة ، والزكاة نصاب محدد معلوم ، أمّا في سورة الذاريات ، فقد كانت في وصف الصفوة المختارة من أصحاب رسول الله ﷺ الذين يؤدون ما عليهم وزيادة ، فهم من الذين أحسنوا ، وكانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وكانوا بالأسحار يستغفرون ، فناسب أن يوصفوا بجنب هذه الأوصاف بأنَّ في أموالهم حقًّا مطلقًا غير محدد ؛ ولهذا قال سبحانه (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) أي : ليس حقًّا معلومًا مُعينًا ، بل هو حق مفتوح طَوال السنة لا ينقطع ، لا يقتصرون على أداء الزكاة فحسب ، بل يتصدقون في غير أوقات الزكاة ، وكلما سألهم السائلون

٤-**إدغام الحرف وفكّه** : ورد لفظ (يشاقّ) في القرآن الكريم في موضع واحد ، وهو قوله تعالى :(وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ){الحشر : ٤}

وورد لفظ (يشاقق) في موضعين، في قوله تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا {١١٥}[النساء :١١٥].

وقوله تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الأنفال:١٣].

إدغام القافين وجعلها قافًا واحدًا مشددة ، يوحي بالخفاء ؛ لأنَّ فيه إخفاء القاف الثانية بإدغامها في القاف الأولى.

أما فكّ الإدغام فعلى العكس من ذلك يوحي بالظهور والمجاهرة ، لأنَّ فيه إظهار القافين ، فأدغم في سورة الحشر ؛ لأنَّها تعبير عن معاداة اليهود الخفية والسرية لله تعالى ، معاداة لم يظهروها ولم يعلم بها إلّا الله ، فناسب هذه المعاداة إخفاءها بالإدغام ، وفكَّ الإدغام في سورة النساء ، والأنفال ؛ لأنَّها كانت تعبيرًا عن المعاداة الظاهرة السافرة التي جاهر بها اليهود وغيرهم لله ورسوله ﷺ .

ولهذا السر جاء لفظ (يحادِّ) بإدغام الدال في موضع ، وفكّها في موضع ، فقد جاءت مدغمة في موضعين ، وفي سورة المجادلة ، وهما قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ){المجادلة : ٥} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ){المجادلة : ٢٠} ذلك أنَّ سورة المجادلة نزلت أكثر آياتها في المنافقين الذين يخفون معاداتهم لله ولرسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فجاء اللفظ بالإدغام الذي يتم فيه إخفاء الدال الثانية بدمجها بالدال الأولى ؛ لتناسب هذه الظاهرة الصوتية مع المقام وواقع الحال ، وجاء بفكّ الإدغام في موضع واحد ، وفي سورة التوبة ، وهو قوله تعالى : (أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ){التوبة : ٦٣}لأنَّها نزلت فيمن يجاهرون بمعاداتهم لله ولرسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فناسب هذا الحال فكّ الإدغام الذي فيه إظهار الدالين

ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) {آل عمران : ٣١}

فمن أحب الله ، بالإدغام ، أحبه الله بفكّه ؛ لأنَّ من أحب الله ، جازاه الله بحبٍّ أعظم ، وأكثر استمرارًا وتكرارًا ، فقد جاءت (يُحْبِبْكُمُ) بفكّ الباءين ؛ لتدل على مضاعفة حب الله لمن أحبه ، والباء صوت شفوي ، يحصل بضم الشفتين ، ففي تكريره رقة ، تشعر بلطف الله ورحمته وحنانه لعباده المحبين له

وتتضح هذه الدلالة أكثر في قول الله تعالى : (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ {١٢٤} بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ){آل عمران : ١٢٤–١٢٥}

فأدغم في الأول (أَن يُمِدَّكُمْ) لأنَّه يمثِّل بدء مدِّ الله لهم ، لكنَّهم إن زاد صبرهم ، وزادت تقواهم ، جازاهم الله بأن يثني ويكرر عليهم مدَّه لهم ؛ لذلك فكَّ الإدغام في الثاني ، فقال (يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم) ليفيد الفكُّ دلالة المد الإضافي والمتكرر .

ولذلك جاء فكُّ الإدغام في سورة نوح ، قال الله تعالى : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ {نوح ١٠–١٢} لأنَّ الآية ، كما هو واضح ، واردة في سياق كثرة نعم الله ، واستمرارها ، وتكرارها ، على من يكثر من استغفار الله ، سبحانه .

وقد يكون لفكِّ الإدغام علاقة بالحكم المسلَّط على مدلوله من دون الإدغام ، وهذا ما يبدو لي في قول الله تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ){آل عمران : ١٦١} وسبب نزول الآية أنَّ ناسًا اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، بالخيانة في سرقة أغنام ، كانت من ضمن الغنائم في غزوة بدر ، فبرَّأه الله من هذه التهمة الباطلة ، بقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ) والمقصود الخيانة للمرَّة الأولى ؛ لذلك لم يرتِّب ، سبحانه وتعالى ، عليها وعيدًا أخرويًّا ،

وإنَّما جعل هذا الوعيد على من يرتكب الخيانة ، ويستمر عليها ، لذلك لم يقل ، جلَّ وعلا : ومن يغلَّ (بإدغام اللام) ، بل قال بفكِّها : (وَمَن يَغْلُلْ) الذي يؤدِّي إلى إظهار اللامين مكرَّرتين متعاقبتين ؛ ليفيد دلالة تكرار الخيانة ، وتعاقبها ، فهذه الخيانة هي التي تستحق الوعيد الأخروي ، في قوله تعالى : (يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) وتفسيرها أنَّ الخائن يأتي يوم القيامة حاملًا خيانته في عنقه ، يُعذَّب بها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، كما جاء هذا في الحديث النبوي وتفسير الآية .

٥-ضم هاء (عليهُ)و(أنسانيهُ) : قال الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا){الفتح : ١٠}

الكسرة ، وإن كانت أقوى من الضمة ، إلّا أنَّ الضمة أثقل منها ، إذ هي أثقل الحركات ، كما أنَّ في الانتقال من ياء ممدودة إلى حرف مضموم ثقلاً إضافيًّا آخر ، وهذه الآية تتضمن معاهدة عظيمة وثقيلة ، فقد كان الله ، جلت عظمته ، شريكًا فيها ، فيا ويله من نكثها ؛ لذلك جاءت هاء (عليهُ) مضمومة ، ولم تأت مكسورة كالمعتاد ، لجعل هذا اللفظ أثقل ما يكون ؛ لتعبِّر الآية به عن ثقل المعاهدة .

يضاف إلى ما تقدم ذكره أنَّ ضمّ هاء (عليهُ) أدَّى إلى قراءة لفظ الجلالة (الله) بعدها مُفخَّمًا ، وهو مناسب لفخامة المعاهدة ، ولو كُسِرَتْ لقُرِئ مُرقَّقًا ، وهو غير مناسب للمقام المذكور

ولهذا السر ثُقِّل لفظ (أنسانيهُ) بضم الهاء فيه ، في قوله تعالى : (قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا){الكهف : ٦٣} لتعبّر الآية بهذا التثقيل الصوتي عن ثقل النسيان الذي أصاب فتى موسى ، عليه السلام ، حتى إنَّه

نسي أن يخبر موسى ، عليه السلام ، بحادثة الحوت العجيبة والغريبة التي حصلت أمامه ، ورآها بعينيه .

٦- **(زحزح) و (كبكب)** : قال الله تعالى : (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ){آل عمران : ١٨٥}

لفظ (زحزح) يدل على تحريك شيء ثقيل من مكان مستقر فيه إلى مكان آخر، وهذا الأمر يتطلب محاولة تحريكه من موضعه شيئًا فشيئًا ، ومرة بعد أخرى ، لصعوبة نقله وتحويله دفعة واحدة ، ولهذا جاء لفظ (زحزح) مضعف المقطع (زح) ليدل على تكرار العمل والمحاولة ، وهذان المقطعان يبدأ كل منهما بحرف الزاي ، وهو صوت مجهور ، يليه حرف الحاء ، وهو صوت مهموس ، والمجهور أقوى من المهموس ، وهذا هو حال الزحزحة ، تبدأ بقوة الدفع وشدته ، المصحوبة بما يشبه صوت الزفير ، وتنتهي بالسكون والهدوء المصحوبة بما يشبه صوت الحاء المهموس .

فكأنَّ هذه الآية بلفظ (الزحزحة) ، تُصوِّر ، كما جاء في الحديث ، حال آخر من يعبر الصراط من أهل الجنة ، فتارة يمشي قائمًا على رجليه ، وتارة يزحف على بطنه يوشك أن يهوي في النار ، ويبقى على هذا الحال حتى يعبر الصراط ، ويدخل الجنة ، أو تُصوِّر حال آخر من يخرج من النار ، فتارة تأخذه أمواجها ، ويظن أنَّها ستعيده إليها ، وتارة يبتعد عنها ، حتى يقترب من باب الجنة فيدخلها .

وكذلك الحال في قوله تعالى : (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ . وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ){الشعراء : ٩٤-٩٥}

فالفعل (فَكُبْكِبُوا) مضعف المقطع (كب) يدلّ على تكرار كبّ أهل النار على وجوههم ، وتتابع كبهم هذا في دركات جهنم ، وهم في حال تجمعهم وتراكمهم وتراكبهم ، بعضهم فوق بعض

٧-**جموع القلة والكثرة** : تُقسَّم جموع التكسير في اللغة العربية على قسمين : جموع قلة وجموع كثرة ، أمَّا جموع القلة فتجيء على أربعة أوزان : على وزن فِعْلة ، مثل : فِتْية ، جمع فتى ، وعلى وزن أفعال ، مثل : أطفال ، جمع طفل ، وعلى وزن أفعلة ، مثل : أرغفة ، جمع رغيف ، وعلى وزن أفْعُل ، مثل : أنْعُم ، جمع نعمة ، أمَّا جموع الكثرة فأوزانها كثيرة ، منها ما كان على وزن ، فِعَل ، مثل : نِعَم ، جمع نعمة ، ولأنَّ الإنسان كائنًا من كان ، نبيًّا كان أم غير نبي ، ليس بوسعه أن يشكر نِعَمَ الله كلّها ، بل إذا استطاع أن يشكر بعضها ، دل ذلك على عظم طاعته لله وتقواه ؛ لذلك استعمل القرآن (أنْعُم) الصيغة الدالّة على جمع القلة ، فقال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {١٢٠} شَاكِرًا لأنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){النحل : ١٢٠-١٢١}

إلّا أنَّ القرآن الكريم لمَّا أراد أن يُذكِّر عباده بعظم نعمه عليهم وكثرتها استعمل (نِعَم) الصيغة الدالة على جمع الكثرة ، فقال تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً){لقمان : ٢٠}

٨-**حذف تاء الفعل وإثباتها** : الزيادة في المبنى تعني الزيادة في المعنى، وقد وظَّف القرآن الكريم هذه القضية اللغوية أبلغ توظيف ، فقد قال تعالى: (فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) [الكهف:٩٧].

والمراد بذلك السد الذي بناه ذو القرنين ليحجز خلفه المفسدين في الأرض من أن يجتازوه ، و(يظهروه) يعني اعتلاءه والعبور من فوقه ، (نقبًا) أي: ثقبه من الأسفل.

وقد ذكر أهل اللغة أنَّ حرف التاء لمجاورتها الطاء في: استطاع ، قد تحذف للتخفيف ؛ لأنَّ مخرجيهما في الفم متقاربان ؛ ففي الانتقال عند النطق من موضع إلى موضع قريب منه ثقل ؛ بل قد يتعذر هذا الانتقال إذا اشتد

قربهما ؛ ولهذا ، لم نجد ، أو ندر في اللغة مجاورة صوت السين للزاي ، والشين للصاد ، والغين للقاف ، لتجاور مخارجها ؛ فلما كانت التاء قد حُذفت في : اسطاع ، ويسطع ، للتخفيف فقد استعملهما القرآن الكريم لِما خفَّ شأنه بالقياس إلى نظيره الوارد معه ضمن السياق ، وقد بَيَّن المفسرون أنَّ اعتلاء السد الذي بناه ذو القرنين أخفّ وأيسر من ثقبه من الأسفل ؛ لذلك قال جل وعلا : (فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) [الكهف:٩٧].

والمعنى : أنَّهم لم يستطيعوا أن يصعدوا فوق السد لارتفاعه وامِّلاسه ، ولم يستطيعوا ثقبه من الأسفل لشدته وصلابته ، ومحاولة المفسدين للقيام بالعمل الأول أيسر عليهم من العمل الثاني ، فنقب السد أصعب من اعتلائه ، لذلك استعمل القرآن الصيغة التامة البناء فيما كان أشد ، والناقصة البناء فيما كان أيسر وأسهل .

ولهذا السر قال الله تعالى: (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) [الكهف:٧٨]. وقال تعالى بعد ذلك: (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا) [الكهف:٨٢].

وقصة موسى مع الخضر عليهما السلام معروفة ففي البدء ثقل على موسى عليه السلام أن يصبر على الأعمال التي قام بها الخضر عليه السلام ، وهي ثقب السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ؛ لذلك استعمل القرآن الكريم (تستطع) الصيغة التامة البناء الأثقل وزنا من (تسطع) الناقصة البناء ، لكن بعد أن قصَّ الخضر عليه السلام أسباب أفعاله وسرّ ما قام به ، سهل على موسى تقبلها وسهل صبره عليها ؛ لذلك استعمل (تسطع) الأخف وزنًا لحذف التاء منها .

٩-(**اثَّاقلتم**) و(**أَنُلْزِمُكُمُوهَا**) : قال تعالى: (مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ) [التوبة:٣٨] ولم يقل: تثاقلتم ، فاختار الوزن الأثقل لفظًا ؛ لأنَّ الخطاب موجه إلى من ثقل عليه الجهاد ؛

ولهذا قال جل وعلا : (أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) [هود:٢٨] الأثقل بناء من: أنلزمكم بها ، ومن : أنلزمكم إياها ؛ لأنَّ من كره طاعة الله ، صعب عليه كثيرًا الالتزام بأوامره ، بل يحس بكثرتها وتتابعها كما يحس القارئ بكثرة حروف (أنلزمكموها) وتتابعها .

١٠- قال الله تعالى : (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ){يونس : ٣٥} والمعنى : من هو الذي أحق بالاتّباع الله الذي (يَهْدِي إِلَى الْحَقّ) أم الذي (لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى) وقصد بها الأصنام وغيرها من الشركاء ، التي من الصعب جدًّا أن تهتدي ، فكيف يمكن أن تهدي غيرها ، والشاهد قوله تعالى (يَهِدِّيَ) قال علماء اللغة : أصلها ، يهتدي ، ثم أُدغمت التاء بالدال ، فأصبحت دالًا مشَدَّدة ، والحرف المشَدَّد ، هو عبارة عن التقاء حرفين من جنس واحد ، يكون أولهما ساكنًا ، فلمَّا التقى هذا الساكن بسكون الهاء قبله ، حرِّكت الهاء بالكسرة لالتقاء الساكنين ، فأصبح الفعل (يَهِدِّي) ، وفي قراءة أخرى بفتح الهاء (يَهَدِّي) وقد جُعِل الفعل على هذه الصيغة ليثقل تلفظه ، ويصعب نطقه ، ليدلّ على ثقل اهتداء الأصنام ، فزاوج بين اللفظ والمعنى في صعوبة أن تهتدي الأصنام وغيرها من الشركاء .

١١-**العلاقة بين صوت اللفظ ودلالته** : من أمثلة مراعاة القرآن الكريم للجانب الصوتي لجعله وسيلة لإبراز الحالة التي يريد التعبير عنها، قول الله تعالى:(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {١}مَلِكِ النَّاسِ {٢}إِلَهِ النَّاسِ {٣}مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ {٤}الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {٥} مِنَ الْجِنَّةِ و النَّاسِ {٦}).

فأبرز الأصوات في هذه السورة صوت السين حتى بات يُخيِّم على جوِّها وقد أريد ذلك ليحكي الصوت الذي يحسّ به الإنسان حين يختلي لوحده ويتنصَّت لوساوس الشيطان المنبعثة من أعماق نفسه.

وكذلك قوله تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنبياء:٨٧]

فلو تلوتَ هذه الآية حق تلاوتها لوجدتَ صوت النون يهيمن على باقي الأصوات ، وكأنَّك تشارك يونس عليه السلام وهو يئنُّ ، وقد أُريد ذلك أيضًا ، لتقصَّ لنا الحالة التي كان عليها يونس عليه السلام ، وهو في بطن الحوت ، يعاني من ضيق شديد وظلمات بعضها فوق بعض التي كادت تحبس أنفاسه ، فما كانت تخرج من شفتيه ألفاظ التضرع إلى الله إلا وهي مصحوبة بصوت خافت ثقيل تحكى تمامًا صوت النون الذي يشبه أنين من ثقلت عليه المحنة وصار قريبًا من الموت وسكراته.

١٢-**البسط والبصط** : قال الله تعالى: (اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقَدِرُ) [الرعد: ٢٦].

وقال تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ) [الإسراء: ٣٠].

وقال تعالى: (اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) [القصص: ٨٢].

وقال تعالى: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ) [العنكبوت: ٦٢].

وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ) [الروم: ٣٧].

وقال تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ) [سبأ : ٣٦].

وقال تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ) [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ) [الزمر: ٥٢].

وقال تعالى: (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ) [الشورى: ١٢].

فقد ورد لفظ (يبسط) بالسين في تسعة مواضع ، ولم يرد في هذه المواضع إلّا بقراءة السين ، وهي المواضع التي تقدم ذكرها [١] إلّا أنَّه ورد لفظ (يبصط) بالصاد، و(يبسط) بالسين في موضع واحد ، في قراءتين متواترتين ، وهو قول الله تعالى : (مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [البقرة: ٢٤٥] [٢] فما السر في ذلك؟

مما هو معروف أن صوت الصاد أقوى من صوت السين ، والآية هنا في سورة البقرة تتحدث عن من يقرض الله قرضا حسنًا ، فإنَّ الله ، سبحانه سيجازيه ، ومما لا شك أن مجازاة الله له ستكون عظيمة وشاملة ، خاصّة وعامّة ، هذا من وجه ، ومن وجه آخر فإنَّ البسط بالسين ورد مُقيَّدًا بالرزق والبصط بالصاد لم يأت مقيدًا بالرزق كما جاء في الآيات التي تقدمتها ، فيكون السر إذن في ورود هاتين القراءتين وعدم الاقتصار على فراءة السين هو أنَّه قد أُريد به في سورة البقرة البسط الخاص في الرزق والبصط العام المطلق ، البصط في الرزق والأولاد والصحة والقوة وطول العمر والملك وغيرها ، وبما أنَّ البصط العام أقوى من المقيَّد اختار في الأقوى (الصاد) التي هي أقوى من السين بإجماع اللغويين وعلماء الأصوات .

---

(١). ينظر : الميسَّر في القراءات الأربع عشرة ص ٢٥٢ ، ٢٨٥ ، ٣٩٥ ، ٤٠٣ ، ٤٠٨ ، ٤٣٢ ، ٤٣٢ ، ٤٦٤ ، ٤٨٤ .

(٢) قرأ نافع ، والكسائي ، وأبو جعفر ، والبزي ، وشعبة ، بالصاد ، وقرأ الباقون بالسين والصاد ينظر : غيث النفع ص ١١٦ والميسَّر في القراءات الأربع عشرة ص ٣٩

١٣–**قصة أهل الكهف** : قال الله تعالى: (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا) [الكهف: ٢٥].

قصة أهل الكهف وقعت في بلاد الروم ، وفي العصر الروماني وكانت هذه البلاد تعتمد في تاريخها على التقويم الشمسي وكان العرب يعتمدون في تاريخهم على التقويم القمري ، وعدد أيام السنة الشمسية تزيد على عدد أيام السنة القمرية بحوالي (١١) يومًا ، فيكون الفرق بين التقويمين سنة كاملة في خلال (٣٣) سنة. وثلاث سنوات في خلال مئة سنة ، وتسع سنوات في خلال ثلاثمئة سنة.

فلو حكيت هذه القصة لأحفاد من وقعت في بلادهم من الرومان لكان من الأنسب أن يقال : ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنة ، ولو أن قصة أهل الكهف وقعت في بلاد العرب ، ثم حكيت لأحفادهم لكان من الأنسب أن يقال: ولبثوا في كهفهم ثلاثمئة سنة وتسع سنين ، لكن لما كانت هذه القصة وقعت في عهد الرومان وفي بلادهم ، أصحاب التقويم الشمسي ، ثم حكيت للعرب ، أصحاب التقويم القمري ، اقتضت بلاغة القرآن الكريم ، أن تحكي هذه القصة ، كما جاءت في التنزيل (ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا) ليجمع بين التقويمين وعصريهما ليكون المعنى: أنّ أهل الكهف لبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنة استنادًا إلى حساب الرومان ، وثلاث مئة سنة وتسع سنوات استنادًا إلى حساب العرب.

١٤–**تقديم السجود على الركوع** : قال الله تعالى: (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)
[آل عمران: ٤٣].

من المعروف في اللغة أنَّه قد يُعبّر عن الكلّ بالجزء ، فذكر السجود هنا وأراد الصلاة ، وكذلك ذكر الركوع وأراد الصلاة أيضًا ، والمعنى : يا مريم ، اقنتي وصلي ، وصلي مع المصلين.

ففي قوله تعالى (واسجدي) أمْر لمريم عليها السلام بأن تصلي وحدها ، ويكون ذلك صلاتها في بيتها ، وفي قوله تعالى: (واركعي مع الراكعين) أمر لمريم عليها السلام بأن تصلي مع المصلين جماعة ، ويكون ذلك في المسجد، والمقصود هنا بيت المقدس.

والسؤال: إنَّه لِمَ قال سبحانه : (واسجدي واركعي مع الراكعين) ولم يقل: واركعي واسجدي مع الساجدين ، مع العلم أن المراد في كليهما الصلاة؟

والجواب : أنَّه في شرعنا وفي شرع مَن قبلنا أن صلاة المرأة في بيتها أفضل عند الله من صلاتها في المسجد ، وأنَّ السجود أفضل من الركوع ، فقد ورد عن الرسول ﷺ قوله : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.

فعبّر عن صلاة مريم في بيتها بالسجود ؛ ليعبّر عن الأفضل بالأفضل، وعبّر عن صلاتها في المسجد بالركوع ؛ ليعبّر عن دون الأفضل بدون الأفضل.

واستنادًا إلى بلاغة هذا التعبير ودقته يمكن أن نعرف كيف يكون الخطاب لو كان موجهًا إلى رجل من الصالحين ، فلو كان المخاطَب لقمان الحكيم مثلًا، لما كان من الأنسب أن يقال له : يا لقمان اقنت لربك واسجد واركع مع الراكعين ، بل لكان من الأنسب أن يكون التعبير : يا لقمان اقنت لربك واركع واسجد مع الساجدين ؛ لأنَّ صلاة الرجل في المسجد أفضل من صلاته في بيته بخلاف صلاة المرأة ، فمن بلاغة الكلام أن يكون مطابقًا لواقع الحال.

١٥ -**مخاطبة عيسى عليه السلام لبني إسرائيل** : قال الله تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ) [الأعراف: ٥٩].

وقال الله تعالى: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ) [الأعراف: ٦٥].

وقال الله تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ) [الأعراف:٧٣].

وقال الله تعالى: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ) [الأعراف: ٧٩].

وقال الله تعالى: (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ) [الأعراف: ٨٥].

وقال الله تعالى: (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ) [الأعراف: ١٢٨].

وقال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ) [المائدة: ٢٠].

وقال الله تعالى: (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) [الأنعام: ٧٨] وهو قول إبراهيم عليه السلام.

وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ) [طه: ٩٠].

وقال الله تعالى: (وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) [المائدة:٧٢].

فالرسل : نوح وإبراهيم وموسى وصالح وهود وشعيب وهارون ولوط خاطبوا أقوامهم بقولهم : (يا قوم) إلّا المسيح عليه السلام لم يقل: يا قوم ، بل قال: يا بني إسرائيل، والسرّ في ذلك أنَّ المسيح عليه السلام مقطوع النسب عن بني إسرائيل ، فلا يُعدّون قومه ؛ لأنَّه لم يكن له أب لينسب إليهم أو لغيرهم .

ومثل هذا الإعجاز كثير في القرآن الكريم ، وقد كُتبت فيه كتب كثيرة ، قديمة ، وحديثة ، لا تُحصى

الإعجاز العددي

لاحظ المفسرون القدامى أنَّ ثمة علاقة بين العدد والمعنى في القرآن الكريم ، لاحظوا ذلك في بعض الآيات والسور ، ووسع المتأخرون والمحدثون

دراسة هذه القضية حتى أدخلوها في باب مستقل ، تحت عنوان : الإعجاز العددي في القرآن الكريم ، إلّا أنَّ بعضهم غالى كثيرًا في ضرب الأمثلة من هذا الباب ، وأوغل في التكلف في اختلاق العلاقة بين العدد وأفكار معيّنة ؛ خدمة لأغراض مذهبية ؛ مما حدا ببعض العلماء إلى إنكارها وإلغائها برمّتها ، وهذا أيضًا من المغالاة ؛ إذ ليس من الحكمة أنْ ننسف قضية موجودة ؛ لأنَّ هناك مَن تطرف ونسب إليها ما ليس منها .

على أية حال فإنَّا نجد في القرآن الكريم للعدد علاقة قوية بالمعنى المراد ، في مواضع كثيرة ، علاقة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها ، وقد انتبه المفسرون القدامى إلى هذه العلاقة ، فقد ذكر مثلًا ابن كثير في تفسيره سورة القدر ، أنَّه اختُلف في تحديد ليلة القدر من ليالي رمضان ، ورجّح جمهور المفسرين أنَّها الليلة السابعة والعشرون ، وذكر أنّ منهم من رجّح هذه الليلة استنادًا إلى قضية عددية ، فذكر أنَّ سورة القدر مؤلفة من ثلاثين كلمة بعدد أيام شهر رمضان ، وأنَّ كلمة (هي) هذا الضمير المنفصل ، العائدة إلى ليلة القدر تقع الكلمة السابعة والعشرين ، وهي في قوله تعالى (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ). وهذه السورة هي :

بسم الله الرحمن الرحيم : إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ {١} وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ {٢} لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ {٣} تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ {٤} سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ {٥}

فعدد كلمات هذه السورة (٣٠) كلمة ، و(هي) تقع الكلمة السابعة والعشرين .

ولاحظ المفسرون قضايا أخرى نجد فيها العلاقة واضحة ومقصودة بين العدد والمعنى لا ينكرها إلا مكابر ، من ذلك ورود الألفاظ المتضادّة في معانيها بأعداد متساوية ، فقد ورد مثلًا لفظ (الشيطان) ٨٨ مرة ، ولفظ

(الملائكة) ٨٨ مرة ، وورد لفظ (الدنيا) ١١٥ مرة ، ولفظ (الآخرة) ١١٥مرة ، ليكون ذلك دلالة واضحة على أن القرآن الكريم هو دستور المسلمين الدنيوي والأخروي لا يطغى أحدهما على الآخر.

وورد لفظ (الحياة) ومشتقاته ١٤٥مرة ، وكذلك ورد لفظ (الموت) ومشتقاته ١٤٥مرة ، وذكر لفظ (الصيف) مرة واحدة ، ولفظ (الشتاء) مرة واحدة ، وذُكر كل من لفظ (الحرّ) و (البرد) أربع مرات ، وتكرر لفظ (السيئات) ومشتقاته بقدر لفظ (الحسنات) ومشتقاته ، فقد تكرر كل منهما ١٦٧ مرة ؛ ولأنَّ الله سبحانه بعث الرسل للناس ، فقد تكرر لفظ كل منهما ٢٤١ ، ولفظ (الكفر) تكرر بقدر لفظ (الإيمان) فقد تكرر كل منهما ١٧ مرة

وقد يعتمد على قضية العدد لترجيح ما يختلف فيه ، ففيما يتعلق بلفظ (الرحيم) و (الرحمن) ثلاثة أقوال:

الأول: أنّهما مترادفان في المعنى .

والثاني: أنّ الرحمن : رحمة الله في الدنيا ، والرحيم : رحمته في الآخرة

والثالث : العكس من ذلك ، أن الرحيم : رحيم الدنيا ، والرحمن: رحمن الآخرة.

لكنه إذا استندنا إلى العدد يترجح القول الأخير ؛ إذ قد ورد لفظ (الرحمن) ٥٧ مرة ، وورد لفظ (الرحيم) ١١٤ مرة ، أي : ضعف (الرحمن) فيترجح أن يكون المراد من (الرحيم) رحمته في الدنيا التي تشمل المؤمنين وغير المؤمنين ، فالله سبحانه في الدنيا مثلًا يرزق عباده جميعا الطائعين له والعاصين ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ١٤٣} فـ(الناس) لفظ عام يعني المؤمن والكافر ، ويكون المقصود من (الرحمن) رحمته في الآخرة التي تخصّ أهل الإيمان والتوحيد من دون أهل الكفر والإشراك.

ولكن هذا لا يعني أنَّ رحمة الله يوم القيامة ، أقل من رحمته في الدنيا ، بل هي في الآخرة مضاعفة وأعظم ؛ كما جاء ذلك عن لسان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الصحيحين ، البخاري ومسلم ، بأنَّ الله ، سبحانه ، جعل رحمته مئة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، أخَّرها الله تعالى ، ليرحم بها عباده يوم القيامة ، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الناس والخلائق فيما بينها ، حتى ترفع الدابَّة حافرها عن ولدها ؛ خشية أن تطأه .

إلّا أنَّ رحمة الله هذه يوم القيامة ؛ وإن كانت أعظم ، وتمثل التسعة والتسعين ؛ إلّا أنَّها تكون خاصة بأهل الإيمان والتوحيد ، من دون أهل الكفر والإشراك ؛ بدلالة قوله تعالى : (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ {١٥٦} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ){الأعراف : ١٥٦–١٥٧} جاء في زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢٠٧/٣: ((ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا ، البرَّ والفاجر ، وفي الآخرة هي للمتقين خاصة ، قاله الحسن وقتادة ، فعلى هذا معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنَّه يُرزَق ، ويُدفَع عنه)) وجاء في كتاب : اللباب في علوم الكتاب ، لابن عادل الدمشقي ٣٨٣/٩ ، ((وقال عطية العوفي : وسعت كل شيء ، ولكن لا تجب إلّا للمتقين ؛ وذلك أنَّ الكافر يُرزَق ويُدفع عنه ببركة المؤمن... فإذا صار للآخرة وجبتْ للمؤمن خاصّة))

إذن رحمة الله في الدنيا تشمل الناس كافة ، المؤمنين والكافرين ، أمَّا رحمته في الآخرة فهي خاصة بالمؤمنين ، وهذا يعني أنَّ الناس المشمولين برحمة الله في الدنيا يعدلون ضعف الناس المشمولين برحمة الله في الآخرة ؛

ولهذا رجحنا أنَّ الرحيم : هي رحمة الله في الدنيا ، وأنَّ الرحمن : هي رحمة الله في الآخرة ؛ لأنَّ لفظ : الرحيم تكرر في القرآن الكريم ضعف لفظ : الرحمن

ويذكر علماء الجغرافية أن نسبة الماء في الأرض تبلغ حوالي ٧١ أو ٧٢% ، ونسبة اليابس (البرّ) تبلغ حوالي ٢٩ أو ٢٨% أي : أن الأرض المغطاة بمياه البحار والأنهار تعادل أكثر قليلًا من ثلثي الكرة الأرضية،

وقد أحصيتُ لفظ (البحر) في القرآن الكريم فوجدته تكرر بصيغة المفرد والمثنى والجمع في أربعين موضعًا ، ولفظ (البرّ) تكرر في (١٢) موضعا ، أي : بنفس النسبة التي هي عليها في الطبيعة

الإعجاز التأثري ، أو النفسي

في القرآن الكريم إعجاز لم يُعرف لحدّ الآن سرّه ، وهو تأثيره في النفوس والقلوب بمجرد سماعه يُتلى ، أو بمجرد قراءته ، وفيما يأتي ذكر أمثلة من هذا الإعجاز .

إسلام عمر والشاعر لبيد (رضي الله عنهما) : هذا الإعجاز كان هو السبب في إسلام كبار الصحابة ، فعمر رضي الله عنه حين خرج من بيته متوشحًا سيفه ، يبحث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتله ، فإنّه قبل أن يصل إليه شاء قدر الله أن تعطيه أخته صحيفة كتبت فيها آيات من القرآن الكريم ، حتى إذا قرأها قال : ما أحسن هذا الكلام وأطيبه ، ثم انقلب في الحال من رجل متوجه لقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى رجل سأل أخته أن تدلّيه عن مكانه ليعلن أمامه إسلامه ، وهذا ما ورد في قصة إسلامه رضي الله عنه .

وكان السبب أيضًا في إسلام الشاعر الجاهلي الكبير، لبيد ين ربيعة العامري ، الذي يعدّه النقاد الثاني بعد امرئ القيس ، ومنهم من يقدّمه عليه ، ويجعله في المرتبة الأولى بين الشعراء ، كان لشدة اعتداده بشعره أنّه لمّا سمع بأنّ محمدًا صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى قرآن ينزل عليه قال : أنا

خير منه ، أي: في البلاغة والفصاحة ، إلّا أنَّه حين قرأ آيات من القرآن الكريم ، قال في الحال: والله ما هذا بكلام بشر وأنا من المسلمين ، فأعلن إسلامه ، ثم رغب عن قول الشعر بعد أن وجد أن هناك ما هو أبلغ من شعره ، وهو القرآن الكريم ، فحفظه عن ظهر قلب .

إعجاب المشركين أنفسهم بالقرآن الكريم : لم يُخْفِ سادات المشركين أنفسهم من إعجابهم بالقرآن الكريم ، وأنَّه كان يستولي على مشاعرهم حين يسمعونه وهو يتلى عليهم ، فقد ذكرت كتب التفسير والسيرة، والحديث ما رواه البيهقي عن الحاكم بسنده إلى الزهري أنَّ أبا جهل وأبا سفيان (وكان ذلك قبل إسلامه) والأخنس بن شريق خرجوا ليله ليسمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل ، فأخذ كل رجل منهم مجلسًا ليستمع إليه ، وكان كل منهم لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون (الليل كله) ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجهر بقراءة القرآن في صلاة الليل ، وكان صوته يسمع من نافذة بيته ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، أي: يتلاقون في مفرق الطريق فيتلاومون، يلوم بعضهم بعضًا ، أنَّه كيف يستمعون إلى القرآن ، وهم يحاربون محمدًا ﷺ؟ حتى قال بعضهم لبعض لا تعودوا للاستماع إليه ، فلو رآكم بعض أتباعكم لأوقعتم في نفسه شيئًا ، إلّا أنَّهم لا يصبرون فيأتون في الليلة الثانية فيصغون إلى تلاوة القرآن من دون أن يعلم أحدهم بالآخر ، ثم يتلاقون عند مفترق طريق انصرافهم عنه وعند طلوع الفجر ، فيتلاومون مرة ثانية ، ثم يأتون في الليلة الثالثة فيستمعون إليه ويحصل ما حصل في الليلة الأولى والثانية ، ثم في الليلة الثالثة يقول بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألّا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا.

وهذا ما أخبر الله به نبيه. قال الله تعالى: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ) [الأنعام: ٢٥].

وقال الله تعالى: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ) [يونس: ٤٢].

وقد اجتمع المشركون بالوليد بن المغيرة الذي ظلّ على إشراكه وقالوا له : إنّك أبلغنا كلامًا وأفصحنا لسانًا وأعلمنا ، فاذهب إلى محمد وساوِمْه على دينه وتفاوضْ معه ، وقدّموا له مطالب واقتراحات ، فجاء إليه الوليد وأخبره بما تريده قريش منه ، حتى انتهى الوليد من كلامه ، ولم يردّ عليه الرسول ﷺ سوى أن قال: هل فرغت؟ قال: نعم. قال: فاسمعْ مني. فتلا عليه من سورة فصلت. فأعجب الوليد بما سمع ، بل أدرك بصدق ما سمع حتى إذا جاء الرسول ﷺ إلى قوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) وضع الوليد يده على رأسه وأحسّ أنَّه حقًّا ستقع عليه وعلى قومه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، فرجع إلى قومه ، فلمّا رآوه مقبلًا إليهم من بعيد ، قالوا: والله (وكانوا يحلفون بالله أيضًا) لقد رجع إلينا الوليد بوجه غير الوجه الذي ذهب به ، ثم أخبرهم ، بأنَّه سمع كلامًا لم يسمع من قبل كلامًا أحلى منه ولا أجمل ، ثم بالغ أمامهم في مدحه حتى قال لهم : إنَّ هذا القرآن ليعلو ولا يعلى عليه ، وإنَّه ليحطم ما تحته ، فاتركوا الرجل وشأنه.

فقالوا: لا ينبغي لرجل مثلك أن يقول مثل هذا الكلام ، وعليك أن تعلم أنَّ موسم الحج على الأبواب ، وأنَّ محمدًا سيستغل ازدحام الناس واجتماعاتهم للحج ليدعوهم للإسلام ، فاقترح لنا فرية نفتريها لنصدّ الناس عنه وعن قرآنه ، فقال: قولوا وأنا أسمع ، فقالوا : نقول بأنَّ القرآن كلام شاعر ، فقال : والله إنِّي أعلمكم بالشعر فما هو بكلام شاعر ، وإذا قلنا ذلك لا يصدقنا الناس ، قالوا: نقول بأنَّه كلام كاهن ، فقال: والله لا يشبه كلام الكهان ولا سجعهم ، وإذا قلنا ذلك فإنَّ الناس لا يصدقون أيضًا قولنا ، فقالوا: لا نبرح حتى نتفق على شيء ، فاتفقوا على أن يقولوا بأنَّه ساحر ، فوافقهم الوليد على ذلك ، فنزل قول الله تعالى فيه من سورة المدثر: (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا {١١} وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا

مَّمْدُودًا {١٢} وَبَنِينَ شُهُودًا {١٣} وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا {١٤} ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ {١٥} كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا {١٦} سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا {١٧} @إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ {١٨} فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {١٩} ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {٢٠} ثُمَّ نَظَرَ {٢١} ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ {٢٢} ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ {٢٣} فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ {٢٤} إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ {٢٥} سَأُصْلِيهِ سَقَرَ {٢٦} وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ {٢٧} لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ {٢٨} لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ {٢٩} عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ {٣٠}

وقد أدرك المشركون هذه الحقيقة بأنَّ القرآن يستولي على مشاعر من يستمع إليه ويأخذ بأفئدتهم فتهتدي إليه الفطرة قبل أن يهتدي إليه العقل ؛ ولهذا كان المشركون يوصي بعضهم بعضًا بعدم الاستماع إليه ، أي : كانوا يخافون حتى على أنفسهم من أن يؤمنوا به إذا استمعوا إليه ، وهذا ما أفصح عنه قوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ)[فصلت: ٢٦] ومعنى (والغوا فيه) أي: بكلام لا فائدة فيه وبالتصفيق والصفير، فكانوا يفعلون ذلك خشية أن يتأثروا به ويتبعوا محمدًا .

شهادة فيلسوف أوربي بإعجاز القرآن الكريم : إذا كان العرب الذين هم أفصح الأمم قد شهد أفصحهم ومن المشركين أنفسهم ، بعظمة هذا القرآن، ، فإنَّ هذا ما شهد به من عاش بعدهم بعدة قرون على الرغم من بعدهم من موطن نزول القرآن الكريم وعصره ولغته ، فهذا هو الفيلسوف الأوربي جان جاك روسو المولود في جنيف سنة ١٧١٢م والمتوفى سنة ١٧٧٨م يقول في كتابه (محاولة في أصل اللغات) ترجمة محمد محجوب وتقديم الدكتور عبد السلام المسدي، يقول في ص٧١ من هذا الكتاب: ((فإنّك لترى الذي له بعض معرفة باللغة العربية يبتسم إذ يتصفح القرآن ، ولعمري أنَّه لو أنصتَ إلى محمد يقرؤه بنفسه في تلك اللغة البليغة والموقعة وبذلك الصوت الجهوري الذي كان يستهوي الأذن قبل أن يستهوي القلب ، ولو أنصتَ إليه... لسجد على الأرض

من الرهبة ثم لناداه : ألا أيها النبي الأعظم ، ألا يا رسول الله خذنا إلى المجد والشهادة نريد أن نغلب أو أن نموت في سبيلك))

يعني بذلك أنَّ القرآن ، يؤثر كثيرًا في نفوس من يستمع إليه ، حتى تصل درجة التأثير إلى أن يسجد له على الأرض تعظيمًا لبلاغة القرآن الكريم

إنَّها نفس شهادة الوليد بن المغيرة تتكرر في أمَّة أخرى وفي مكان آخر وفي عصر آخر.

القرآن معجز حتى بصوت ألفاظه : لم يزل القرآن وسيبقى محتفظًا بهذه السمة المؤثرة بأسلوبه في قلوب من يستمعون إليه ، حتى الذين لا يملكون إلّا قليلًا من المعرفة باللغة العربية ، يذكر أحد الإخوة المسلمين أنَّه حين كان على ظهر سفينة في يوم الجمعة راجعًا إلى بلده بعد زيارة له لإحدى البلاد الغربية الأجنبية ، قال: قمتُ ومن معي من المسلمين ونحن على ظهر السفينة بأداء صلاة الجمعة ، فقام أحدنا خطيبًا ثم إمامًا ، وبعد أن فرغنا من الصلاة قدم إلينا عدد من الأجانب لا يعرفون العربية سألونا باللغة الإنكليزية : إنَّا سمعنا منكم وأنتم تؤدون الصلاة كلامًا أعجبنا واستأنسنا به مع أنَّنا لم نفهمه ، وهو يختلف عن كلامكم ؛ فما هو هذا الكلام؟ فقلنا لهم : إنَّه القرآن ، فقالوا : كتابكم المقدس ؟ قلنا نعم.

وقد استمعت إلى ندوة تلفزيونية خُصِّصت للحديث عن جوانب الإعجاز في القرآن الكريم ، فذكر أحد الأساتذة أنّ من جوانب هذا الإعجاز ما سُمِّي بالإعجاز التأثري ، واستشهد بمثال على ذلك فذكر أنّ رجلًا بريطانيا سنحتْ له الفرصة أن يسمع القرآن الكريم ، وهو يتلى بلغته العربية ، فأحسّ بانشراح صدره كلّما استمع إليه على الرغم من أنَّه يسمع كلامًا لم يفهمه ، قال: فأراد هذا الرجل البريطاني غير المسلم أن يتعرّف إلى سرّ ذلك ، فازداد شوقه وتمنَّى لو كان يعرف العربية ، ولم يزل تهفو نفسه إلى معرفة السر حتى عزم على أن

يأتي إلى مصر ، من أجل أن يتعلم العربية ، فتعلم شيئًا منها وهو يستمع إلى القرآن حتى انتهى به المطاف إلى أن يعلن إسلامه

سورة التكاثر والمفكّر الإسلامي الكبير محمد أسد : إنَّ هذا القرآن معجز في كل آية من آياته ؛ فقد كانت آيتان من سورة التكاثر السبب في صنع المفكِّر الإسلامي الكبير : محمد أسد ، كان اسمه قبل إسلامه : ليوبولد فايس .

وُلد ليوبولد فايس بإقليم غاليسيا في بولندا ، شهر يوليو سنة ١٩٠٠م ، وكان الإقليم يومئذٍ تابعًا للإمبراطورية النمساوية ، كان أبواه يهوديين ، وبدأ يتدرَّب ليصبح كاهنًا مثل جدِّه ، لكنه عزف عن ذلك ، ثم سافر إلى القدس بدعوة من خاله ، حيث تعرَّف إلى الحركة الصهيونية ورفضها .

وفي أواخر سنة ١٩١٤م ، بعد اشتعال نيران الحرب العالمية الأولى بدا له أنَّ الفرصة الكبرى لتحقيق أحلامه الصبيانية قد أصبحت باب قوسين ، أو أدنى ، كان ذلك في الرابعة عشرة من عمره ، فهرب من المدرسة والتحق بالجيش النمساوي ، بعد أن اتخذ له اسمًا مزوّرًا ، وبعد أسبوع ، أو أكثر نجح أبوه في أن يتعقَّب آثاره ، بوساطة البوليس ويعيده إلى فينّا ، حيث كانت عائلته قد استقرت فيها ، وحين استُدعي إلى الخدمة العسكرية بعد أربع سنوات ، كانت أحلامه حول المجد العسكري قد تبددت ؛ فاطلع إلى سبل أخرى لتحقيق ما يحلم به .

بعد ذلك انصرف لمدة سنتين تقريبًا إلى دراسة تاريخ الفنون والفلسفة في جامعة فينّا ؛ لكن المسلك العلمي الهادئ لم يكن ليجذبه ، فترك الدراسة ، بعد أن قرر أن يعمل في الصحافة ، فشرع يطوف في البلاد الإسلامية ، بوصفه مراسلًا صحافيًّا ، والوطن الإسلامي يومذاك يعيش حالة الانهيار والهزيمة ، فلم يتأثَّر بهذا الوضع المأساوي لحال المسلمين ، وبدلًا من ذلك فقد انبهر بالقوة الكامنة في الإسلام ، فجذبه ما فيه من مبادئ سامية .

وقد حكى لنا محمد أسد بنفسه قصة إسلامه ، فقال : في سنة ١٩٢٢م تركتُ النمسا بلادي ؛ لأتجوّل في أفريقيا ، وآسيا بصفتي مراسلًا لبعض أمهات الصحف الأوربية ، وقد أصبحتُ شديد الاهتمام بتعاليم الإسلام الدينية ، إلّا أنَّه لم تكن كافية لاعتناقي هذا الدين ، وفي أحد الأيام ، كان ذلك في سبتمبر ١٩٢٦م كنتُ أنا وزوجتي إلزا نستقلّ مترو الأنفاق في برلين ، وكان أغلب الذين في المقصورة من الطبقة الغنية المترفة ، ومن رجال الأعمال ، يرتدون الملابس الفخمة والأنيقة ، ويحملون الحقائب الجميلة ، وفي يد بعضهم خاتم من الماس ، يعكسون الرخاء الذي شاع في وسط أوربا ، ولكن حين أمعنتُ النظر في وجوههم ، وجدتُ الكآبة والقلق والتعاسة بادية عليهم ؛ لشدة اشتغالهم واهتمامهم بطلب المزيد من الأموال والغنى ، وكل منهم قد بلغ من الكبر عِتيًّا .

وحين عدنا إلى منزلنا ألقيتُ نظرة على مكتبي ، وعليه نسخة من القرآن ، فأردتُ أن أضعها في المكتبة ، ولكن بطريقة تلقائية فتحتُه لأقرأ فيه فوقعتْ عيني على قوله تعالى : (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ {١} حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ){التكاثر : ١-٢} والمعنى : أشغلكم التكاثر بالأموال والأولاد ، والتفاخر بكثرتها والتنافس فيها ، والاستكثار من تحصيلها ، أشغلكم ذلك عن طاعة الله ، والعمل للآخرة ، حتى أدرككم الموت ، وأنتم على هذه الحال.

قال : حين وقعتْ عيني على هاتين الآيتين انعقد لساني عن الكلام ، واهتزّ الكتاب ، وهو بيدي ، وناولتُه لزوجتي إلزا ، اقرئي هذا ، أليست هذه هي الإجابة عن ما شاهدناه في مترو الأنفاق؟! نعم إنَّها الإجابة القاطعة التي جعلتني أؤمن بأنَّ هذا الكتاب الذي بين يديَّ الآن ، هو وحي من عند الله العليم بالنفوس ، فمنذ ثلاثة عشر قرنًا أُنزل على رجل لا يعلم دخائل النفوس ، ولا يتوقع هذه الصورة التي رأيناها اليوم في مترو الأنفاق والوضع المعقد الذي نعيشه الآن .

وفي هذه السنة ١٩٢٦م أعلن إسلامه وسمَّى نفسه محمد أسد ، ومن ثَمَّ أصبح من كبار المفكرين المسلمين ؛ يشهد على ذلك كتابه : الطريق إلى مكة ، الذي أصدره عام ١٩٥٣م الذي يُعدُّ من أروع الأعمال الأدبية والفكرية في القرن العشرين ، وفي كتابه هذا يتحدث عن رحلته الطويلة للتعرُّف إلى الحقيقة ، فقد بحث عنها في ثنايا التوراة ، وأسفار اليهودية ، ولم يجدها ، وبحث عنها في مقاهي فينَّا وصالوناتها في العشرينات من القرن الماضي ، ولم يجدها ، وبحث عنها في أعمال فرويد ، وكتاباته في التحليل النفسي ، ولم يجدها ، إلّا أنَّه وجدها أخيرًا في صحراء الجزيرة العربية ورمالها ، فقد جاء إلى مكة ، مهبط الوحي ، ونزول القرآن ، ليجد فيها الحقيقة شاخصة بكل معانيها ، التي طالما بحث عنها منذ نعومة أظفاره ، فقد أحبَّ جزيرة العرب وأهلها ، وعدَّها موطنه ، وهذا ما عبَّر عنه في كتابه الذي مر ذكره : الطريق إلى مكة

وفي عام ١٩٦٤م شرع في أضخم مشروع في حياته ، وهو ترجمة معاني القرآن الكريم ، وقد أمضى سبعة عشر عامًا ، وهو يعدَّ الترجمة ، وكانت النتيجة في عام ١٩٨٠م صدور واحدة من أهم ترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزية .

ومن مؤلفاته :

١-الإسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فروخ ، ١١٩صفحة

٢-الطريق إلى مكة ، ترجمة عفيف البعلبكي ، ٤٠٤ صفحة .

٣-منهاج الإسلامي في الحكم ، ترجمة منصور محمد ماضي ١٩٢ صفحة [١]

تأثير القرآن بكبار القساوسة ، من هؤلاء :

القس إبراهيم خليل فيلبس : في نهاية السبعينيات من القرن الماضي كان من التسجيلات التي استمعتُ إليها تسجيل بصوت داعية من كبار الدعاة

---

(١) ينظر : تتمة الأعلام للزركلي ١٢٤/٢ ، وعلماء ومشاهير أسلموا ص ١٣٣-١٧٧

في مصر ، يشرح فيه قصة حياته ، أنَّه كان قسًّا كبيرًا ، يُدعى : إبراهيم خليل فيلبس ، راعي الكنيسة الإنجيلية في مصر ، نال شهادة الماجستير في علم اللاهوت ، وذكر أنَّه كان مسؤولًا عن نادٍ رياضي يأوي إليه الشباب من المسيحيين والمسلمين ، وأنَّ هذا النادي كان يهدف إلى جذب الشباب المسلم وتنصيرهم ، قال: ولنشاطي في مجال التنصير ولوسع اطلاعي بالنصرانية وعلم اللاهوت كلّفتني الكنيسة بأن أقرأ القرآن وأطلع على تفسيره وأُمعن النظر في آياته ودلالاتها ؛ من أجل أن أجد له ثغرات أنفذ من خلالها بالطعن بكتاب المسلمين المقدس.

وبعد أن بدأتُ بالقيام بهذا المشروع ، وجدتُ أنَّه من الضروري أن أغوص في أعماقه ليتسنى لي تحقيق ما طُلب مني تحقيقه ، يقول: فما زلتُ مع القرآن أقرؤه آية آية ، وأدرسه آية آية ، فشعرت وأنا أريد أن أتحداه بأنِّي أناحر أمواجًا عاتية ، فتغلب علي بدلًا من أن أتغلب عليه ، بل راح يستهويني شيئًا فشيئًا إلى أن سيطر على قلبي وعلى مشاعري كلّها ، حتى أعلنتُ في نفسي إسلامي قبل أن أختم دراسته.

وقال : وبعد أن جهرتُ بإسلامي أشاعت عنِّي الكنيسة وزوجتي بأنَّني رجل معتوه ، وذكر أنَّه بعد أن أعلن إسلامه غيَّر اسمه من إبراهيم خليل فيلبس ، إلى إبراهيم خليل أحمد ، وغيَّر أسماء أولاده الثلاثة : إسحاق إلى أُسامة ، وصموئيل إلى جمال ، وماجدة إلى نجوى .

وكانت هذه المحاضرة قد ألقاها في أحد جوامع القاهرة ، وكنتُ بين حين وآخر أسمع أصوات التهليل والتكبير من لدن المسلمين المستمعين إليه وهو يشرح لهم كيف أخذه القرآن بهدوء ، ونقله من وهاد الشرك والضلال إلى نور الهداية والإيمان

وقد اطلعتُ فيما بعد على قصة إسلام هذا القس المصري نفسه في كتاب : علماء ومشاهير أسلموا ، وفيه أنّ قصة إسلامه قد نشرتها مجلة الدعوة

في أكتوبر ١٩٧٦م وما نشرته عنه ، أنَّه كان أستاذ اللاهوت المسؤول عن تنصير قطاع من مصر ، كان يعمل راعي الكنسية الإنجيلية ، وأستاذ العقائد واللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط حتى عام ١٩٥٣م ، ثم سكرتيرًا عامًّا للإرسالية الألمانية السويسرية بأسوان ، ومبشرًا بين المسلمين ، ما بين المحافظات من أسيوط إلى أسوان حتى عام ١٩٥٥م ... حصل على المؤهلات المتخصصة في اللاهوت ، فحصل على دبلوم كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة عام ١٩٤٧م ، ثم ماجستير في الفلسفة واللاهوت من جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٢م

وقرأتُ في هذا الكتاب أيضًا : ((مع الأستاذ إبراهيم خليل أحمد ، داعية اليوم ، كان هذا اللقاء ، سألناه : كيف كانت رحلة الهداية التي أوصلتكَ شاطئ الإيمان والإسلام ، ومن أين كانت البداية؟ فأجاب : في مدينة الإسكندرية ، وفي الثالث عشر من يناير عام ١٩١٩م كان مولدي ، نشأتُ نشأة نصرانية ملتزمة ، وتهذبتُ في مدارس الإرسالية الأمريكية ... مع اندلاع الحرب العالمية الثانية ... اضطررنا الهجرة إلى أسيوط ... التحقتُ بالقوات الأمريكية من عام ١٩٤٢م–١٩٤٣م ... ثم التحقت بكلية اللاهوت سنة ١٩٤٥م ، وأمضيتُ فيها ثلاث سنوات ... درسنا فيها تاريخ الكنيسة ، ثم تاريخ الحركة التنصيرية وعلاقتها بالمسلمين ، وهنا نبدأ دراسة القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، ونتجه للتركيز على الفرق التي خرجتْ على الإسلام ، مثال الإسماعيلية ، والعلوية ، والقاديانية ، والبهائية ... بالطبع كانت العناية بالطلاب شديدة ، ويكفي أن أذكر أننا كنا حوالي ١٢ طالبًا ، وُكِّل بتدريسنا ١٢ أستاذًا أمريكيًّا ، و٧ آخرين مصريين ، وفي الواقع كنا نؤسس على هذه الدراسات حواراتنا المستقبلية مع المسلمين ، ونستخدم معرفتنا لنحارب القرآن بالقرآن ... بالنقاط السوداء في تاريخ المسلمين ... وهناك كتب لدينا في هذا الموضوع ، إضافة إلى استعانتنا ، واستفادتنا من كتابات عملاء الاستشراق ،

أمثال طه حسين الذي استفادت الكنيسة من كتابه : الشعر الجاهلي ، مئة في المئة ، وكان طلاب كلية اللاهوت يعتبرونه من الكتب الأساسية لتدريس مادة الإسلام ، وعلى هذا المنهج كانت رسالتي في الماجستير ، تحت عنوان : كيف ندمر الإسلام بالمسلمين ، سنة ١٩٥٢م ، التي أمضيتُ ٤ سنوات في إعدادها من خلال الممارسة العملية للوعظ والتنصير بين المسلمين من بعد تخرجي عام ١٩٤٨مْ

ثم سألناه : كيف إذن حدث الانقلاب فيك ، ومتى اتجهت لاعتناق الإسلام ؟ أجاب : عندما أخذتُ أقرأ القرآن بصورة تختلف عما كنتُ أقرؤه سابقًا ، وكان ذلك في شهر يونيو تقريبًا عام ١٩٥٥م ... واستمررتُ على قراءته ، وتدبّر آياته حتى أعلنتُ إسلامي عام ١٩٥٩م))

ومن مؤلفاته بعد إسلامه :

- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن .
- المسيح إنسان لا إله
- الإسلام في الكتب السماوية .
- اعرف عدوك إسرائيل .
- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية .
- المبشرون والمستشرقون في العالم العربي الإسلامي .
- الغفران بين المسيحية والإسلام

القس إسحاق هلال مسيحة وكبير الرهبان : وثمّة قس مصري كبير آخر ، قلبت حياته من كيان إلى كيان ، سورة من قصار السور في القرآن الكريم ، مؤلفة من خمس عشرة كلمة ، يروي لنا هذا القس بنفسه ، وبصوته قصة إسلامه ، وكما جاء ذلك في كتاب :علماء ومشاهير أسلموا ، يرويها عن طريق الإنترنت ، على الشبكة العنكبوتية ، ننقل فقرات منها نصًّا فيما يأتي :

((الاسم : القس إسحاق هلال مسيحة .

المهنـة : راعـي كنيسـة المثـال المسـيحي ، ورئـيس فخـري لجمعيـات خلاص النفوس المصرية بإفريقيا وغرب آسيا ، مواليد ١٩٥٣/٥/٣م ، المنيا ، جمهورية مصر العربية ، وُلِدتُ في قريـة البياضية ، مركز ملوي محافظـة المنيا ، من والـدين نصـرانيين أرثـوذكس ، زرعـا فـي نفوسـنا ، ونحـن صـغار ، الحقد ضدَّ الإسلام والمسلمين ...

فـي اليـوم السـادس مـن الشـهر الثـامن مـن عـام ١٩٧٨م كنـت ذاهبًـا لإحياء مولد العذراء بالإسكندرية ، أخذتُ قطار الساعة الثالثة عشر دقائق ، الذي يتحرك من محطـة أسيوط متجهًا إلـى القـاهرة ، وبعد وصـول القطـار فـي حوالي الساعة التاسعة والنصف ، ركبتُ الحافلـة من محطـة العتبـة ، رقم ٦٤، المتجهة إلى العباسية ، وأثناء ركوبي في الحافلة بملابسي الكهنوتية ، وصليب يزن ربع كيلو من الذهب الخالص ، وعصـاي الكرير ، صعد صبي في الحادية عشرة من عمره ، يبيع كتيبات صغيرة ، فوزّعها على كلّ الركاب ، ما عدا أنا ، وهنا صار في نفسي هاجس : لِمَ كل الركاب إلّا أنا ؟ فانتظرته حتى انتهى من التوزيع والجمع ، فباع ما باع ، وجمع الباقي ، قلتُ لـه : لماذا أعطيتَ الجميع بالحافلة إلّا أنا ؟! فقال : لا يا أبونا ، أنت قسيس ، وهنا شعرتُ وكأنني لستُ أهلًا لحمل هذه الكتيبات مع صغر حجمها (لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ){الواقعة : ٧٩} ألححـتُ عليـه ليبيعنـي منهـا ، فقـال : لا دي كتـب إسـلامية ، ونـزل ، وبنزول هذا الصبي من الحافلة شعرتُ وكأنني جوعان ، وفي هذه الكتب شبعي ، وكأنني عطشان وفيها شربي ، نزلتُ خلفه ، فجرى خائفًا مني فنسيتُ من أنا ، وجريتُ وراءه حتى حصلتُ على كتابين .

عنـدما وصـلتُ إلـى الكنيسـة الكبـرى بالعباسـية (الكاثدرائيّـة المرقسـيّة) ودخلتُ إلى غرفة النوم المخصصة بالمدعوين رسميًّا ، كنتُ مرهقًا من السفر، ولكن عندما أخرجتُ أحد الكتابين ، وفتحته ، وقع بصري على سورة الإخلاص : (بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {١} اللَّهُ الصَّمَدُ {٢} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ

يُولَدْ {٣} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ {٤}) فأيقظتْ عقلي ، وهزتْ كياني ، بدأتُ أُرددها حتى حفظتُها ، وكنتُ أجدُ في قراءتها راحة نفسية ، واطمئنانًا قلبيًّا ، وسعادة روحية ، وبينا أنا كذلك إذ دخل عليَّ أحد القساوسة ، وناداني : أبونا إسحاق ، فخرجتُ وأنا أصيح في وجهه : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) دون شعور منِّي .

بعد ذلك ذهبتُ إلى الإسكندرية لإحياء أسبوع مولد العذراء يوم الأحد ، أثناء صلاة القداس المعتاد ، وفي فترة الراحة ، ذهبتُ إلى كرسي الاعتراف لكي أسمع اعترافات الشعب الجاهل الذي يؤمن بأنَّ القسيس بيده غفران الخطايا ، جاءتني امرأة تعضّ أصابع الندم ، قالت : إنِّي انحرفتُ ثلاث مرات ، وأنا أمام قداستك ، الآن أعترفُ لك رجاء أن تغفر لي وأعاهدك ألّا أعود لذلك أبدًا ، ومن العادة المتبعة أن يقوم الكاهن برفع الصليب في وجه المعترف ، ويغفر له خطاياه ، وما كنتُ أرفع الصليب ؛ لأغفر لها حتى وقع ذهني على العبارة القرآنية الجميلة : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فعجز لساني عن النطق ، وبكيتُ بكاءً حارًّا ، وقلتُ : هذه جاءت لتنال غفران خطاياها منِّي ، فمن يغفر لي خطاياي يوم الحساب والعقاب ؟! هنا أدركتُ أنَّ هناك كبيرًا أكبر من كل كبير، إله واحد ، لا معبود سواه .

ذهبتُ على الفور للقاء الأسقف وقلتُ له : أنا أغفر الخطايا لعامة الناس ، فمن يغفر لي خطاياي ؟! فأجاب بدون اكتراث : البابا ، فسألته : ومن يغفر للبابا ؟! فانتفض جسمه ، ووقف صارخًا ، وقال : أنت قسيس مجنون ، واللي أمر بتنصيبك مجنون ، حتى وإن كان البابا ، بعد ذلك صدر قرار البابا بحبسي في دير (ماري مينا) بوادي النطرون .

أخذوني معصوب العينين ، وهناك استقبلني الرهبان استقبالًا عجيبًا ، كادوا لي فيه صنوف العذاب ، علمًا بأنني حتى تلك اللحظة لم أُسلم ، كل منهم يحمل عصًا ، يضربني بها ، وهو يقول : هذا ما يُصنع ببائع دينه ، وكنيسته ، استعملوا كل أساليب التعذيب ، الذي لا تزال آثاره موجودة على

جسدي ، وهي خير شاهد على صحة كلامي ، حتى إنَّه وصلتْ بهم أخلاقهم غير إنسانية أنَّهم كانوا يدخلون عصا المقشّة في دبري يوميًّا سبع مرات ، في مواقيت صلاة الرهبان لمدة سبعة وتسعين يومًا ، وأمروني بأن أرعى الخنازير ، وبعد ثلاثة أشهر أخذوني إلى كبير الرهبان ؛ لتأديبي دينيًّا وتقديم النصيحة لي ، فقال : يا بُنَي ، إنَّ الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا ، اصبر واحتسب ، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، قلتُ في نفسي : ليس هذا الكلام من الكتاب المقدَّس ، ولا من أقوال القديسين ، وما زلتُ في ذهولي بسبب هذا الكلام ، حتى رأيته يزيدني ذهولًا على ذهول بقوله : يا بُنَي ، نصيحتي لك الستر والكتمان إلى أن يعلن الحق مهما طال الزمان ، قلتُ في نفسي : ماذا يعني بهذا الكلام ، وهو كبير الرهبان ؟! ولم يطل بي الوقت حتى فهمتُ تفسير هذا الكلام المحيِّر ، فقد دخلتُ عليه ذات صباح ؛ لأوقظه فتأخَّر في فتح الباب ، فدفعته ودخلتُ ، وكانت المفاجأة الكبرى التي كانت نورًا لهدايتي لهذا الدين الحق ، دين الوحدانية ، عندما شاهدتُ رجلًا كبيرًا في السن ، ذا لحية بيضاء ، وكان في عامه الخامس والستين ، وإذا به يصلي صلاة المسلمين ، صلاة الفجر ، تسمَّرتُ في مكاني أمام هذا المشهد الذي أراه ، ولكنِّي انتبهتُ بسرعة عندما خشيتُ أن يراه أحد من الرهبان ، فأغلقتُ الباب ، جاءني بعد ذلك ، وهو يقول : يا بُنَي ، استر عليَّ ، ربَّنا يستر عليك ، أنا منذ ٢٣ سنة على هذا الحال ، غذائي القرآن ، وأنيس وحدتي توحيد الرحمن ، ومؤنس وحشتي عبادة الواحد القهار ، الحقُّ أحقُّ أن يتبع .

بعد أيام صدر أمر البابا برجوعي إلى كنيستي بعد نقلي من سوهاج إلى أسيوط ، لكن الأشياء التي حدثت مع سورة الإخلاص ، وكرسي الاعتراف ، والراهب المتمسك بإسلامه ، أحدثتْ في نفسي أثرًا كبيرًا ، لكن ماذا أفعل ، وأنا محاصر من الأهل ، والأقارب ، وممنوع من الخروج من الكنيسة بأمر شنودة ...

بعد هذه الأحداث التي أنارتْ لي طريق الإيمان ، وهدتني لأعتنق الدين الإسلامي ، وجدتُ صعوبات كثيرة في إشهار إسلامي ، نظرًا لأنني قس كبير ، ورئيس لجنة التنصير في أفريقيا ، وقد حاولوا منع ذلك بكل الطرق ؛ لأنَّه فضيحة كبيرة لهم .

ذهبتُ لأكثر من مديرية أمن لأشهر إسلامي ؛ وخوفًا على الوحدة الوطنية أحضرتْ لي مديرية الشرقية فريقًا من القساوسة والمطارنة للجلوس معي ، وهو المتبع بمصر لكل من يريد اعتناق الإسلام .

هددتني اللجنة المكلفة من ٤ قساوسة ، و٣ مطارنة ، بأنَّها ستأخذ كل أموالي ، وممتلكاتي المنقولة والمحمولة ، والموجودة في البنك الأهلي المصري ، فرع سوهاج وأسيوط ، التي كانت تُقدَّر بحوالي ٤ مليون جنيه مصري ، وثلاثة محلات ذهب ، وورشة لتصنيع الذهب بحارة اليهود ، وعمارة مكونة من أحد عشر طابقًا ، رقم ٤٩٩ شارع بور سعيد بالقاهرة ، فتنازلتُ لهم عنها كلّها ، فلا شيء يعدل لحظة الندم التي شعرتُ بها ، وأنا على كرسي الاعتراف .

بعدها كادت لي الكنيسة العداء ، وأهدرتْ دمي ؛ فتعرضتُ لثلاث محاولات اغتيال من أخي وأولاد عمِّي ، فقاما بإطلاق النار عليَّ في القاهرة ، وأصابوني في كليتي اليسرى ، التي تمَّ استئصالها في ٧/ ١/١٩٨٧م في مستشفى القصر العيني ، والحادث قُيِّد بالمحضر رقم ١٩٨٦/١٧٦٢ بقسم قصر النيل ، مديرية أمن القاهرة بتاريخ ١٩٨٦/١١/١١م ٠٠٠ ولمَّا علم أبواي بإسلامي ، أقدما على الانتحار ، فأحرقا نفسيهما ، والله المستعان))

تأثير القرآن في أشهر مُغنّي بريطاني : ومن مشاهد هذا الإعجاز ما قرأته وشاهدته في مجلة (ألف باء) بداية التسعينيات من القرن الماضي ، فقد قرأتُ في عددين متتاليين من هذه المجلة حوارًا أجرته صحفية من بغداد مع رجل بريطاني زار بغداد بهدف التوسط بين بلاده والعراق بعد احتلال الكويت ، وشاهدت صورة هذا الزائر ذا لحية سوداء ، وعلى رأسه قبعة بيضاء ، ومرتديًا

سروالًا أبيض ، وقد كُتب بجنب صورته وبخط بارز : مغني البوب البريطاني المشهور ، كات ستيفنس سابقًا ، ويوسف إسلام حاليًا ، وقد كتبتْ عنه هذه المجلة وبعض الصحف الصادرة في وقتها ، شيئًا من سيرة حياته ، والغرض من قدومه إلى بغداد ، فذكرتْ أنَّ كات ستيفنس ديمتري كان من أشهر المغنيين البريطانيين ، ليس على الصعيد الأوربي فحسب ، بل حتى في العالم العربي ، وإنّ العراقيين يتذكرونه جيدًا حين كانوا يستمعون إلى اسطواناته الذائعة الصيت في السبعينات التي انتشرت في الشرق والغرب حتى صار من جرّاء الأرباح الكبيرة التي جناها من بيع اسطواناته الغنائية من كبار الأغنياء في بريطانيا ، وقد سألته الصحفية عن سبب هذا التحول في مسيرة حياته ، فذكر لها أنَّه كان يعاني من أزمات نفسية ، ولم يجد لها حلًّا من لدن الكنيسة وأنَّ رجالها لم يجيبوه عن كثير من تساؤلاته ، قال : وقد كان لي صديق مسلم رآني في هذه الحالة فأهداني مصحفًا مترجمًا ، وطلب مني أن أقرأه ، إلّا أنّي لم أقرأه ، ذلك أنَّ أبي كان مسيحيًّا من أصل يوناني وأُمِّي يهودية ، وكان بين اليونان وتركيا (البلد المسلم) عداء قديم ومستمر ، ولكوني من هذين الأبوين تعرفت إلى الديانتين النصرانية واليهودية ، وبعد مرور سنة قلتُ في نفسي : لِمَ لا أتعرف إلى الإسلام من خلال قراءة القرآن الذي أهداه لي صديقي ؟ لعلّي أجد فيه مخرجًا مما أعاني ، فحين شرعتُ أقرؤه باللغة المترجمة وجدتُ فيه أجوبة لكل تساؤلاتي وأخذتُ أشعر بالراحة والاطمئنان لتوجيهاته الروحية والنفسية والاجتماعية ، مما حدا بي إلى أن أنطق بالشهادتين وأُعلن إسلامي.

ثم سألته عن الغناء هل تركته ؟ فقال: أردتُ في البدء أن أبقى مغنيًّا، ولكن بعد أن استشرتُ إخواني المسلمين قالوا لي: إنَّ الغناء يلهي المرء عن ذكر الله فتركته .

فهذا القرآن لم يكن قد أثَّر في النفوس بصوت ألفاظه فحسب؟ ولا ببلاغه أسلوبه فحسب ، بل أثَّر في النفوس أيضًا بتعاليمه وإرشاداته التي

تخاطب فطرة الإنسان من الأعماق ، وكان هذا الجانب الأخير السبب الرئيس الذي حول هذا الإنسان من كاتْ ستيفنس المغني البريطاني المشهور بجمال صوته وثراء أمواله إلى مسلم اعتيادي يُدعى يوسف إسلام ، فترك الشهرة والغنى من أجل أن يعمل لهذا الدين وأهله ؛ فقد قدم إلى بغداد للتوسط بين بلاده والعراق ، وقد عرضه التلفزيون العراقي ، وشاهدته بعينيَّ بلحيته السوداء ووجهه الأشقر وقبعته البيضاء ، فبدأ كلامه بقوله : بسم الله والهمد لله ... ثم انتقل إلى الحديث بالإنكليزية ؛ لأنَّه لم يكن يتقن العربية.

تأثير القرآن في النبات : لا عجب إذا ما أثَّر هذا القرآن العظيم في نفوس البشر ، ومشاعرهم ؛ إذ قد ثبت تأثيره حتى على النباتات ، فقد ذكر الدكتور أحمد مصطفى متولي ، في كتابه : الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، ص ٤٣٢ ، أنَّه من الأحاديث التي دارت في ندوة للدكتور سمير الحلو على قناة الجزيرة ، بتاريخ ٢٠/٧/٢٠٠٣م أنَّه ((أُجريت بمصر دراسة على النباتات ، حيث أُحضرتْ خمس نبتات قمح ، واحدة وُضِع بجوارها مسجل لتلاوة القرآن ، وأخرى وُضِع بجوارها مسجل لكلام عربي عادي ، وثالثة بدون سماع شيء ، ورابعة وُضِع بجوارها موسيقى ، والخامسة كان بجوارها أصوات سباب وشتم للنبات ، فكانت النتيجة على النحو الآتي :

- أنَّ التي شُتِمتْ ماتت .
- وأنَّ التي سمعتْ موسيقى انتعشت قليلًا .
- أمَّا التي لم يوضع أمامها شيء فكان نموها اعتياديًّا .
- والتي سمعتْ إلى كلام عربي نمتْ زيادة قليلة عن التي لم يوضع أمامها شيء
- أمَّا التي استمعتْ القرآن ، فقد زادت بنسبة ٧٠ بالمئة عن باقي النبات))

الإعجاز الغيبي

فيما يتعلق بالإعجاز الغيبي فقد أخبر الله سبحانه عن غيب الحاضر بإطلاع رسوله صلى الله عليه وسلم مثلًا على المنافقين وما يبيّتون للإسلام من مكر وكيد ، قال الله تعالى :(يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ {٦٤} وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ {٦٥}(التوبة)

وفيما يتعلق بغيب الماضي قوله تعالى في سورة القلم : (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَّهِينٍ {١٠} هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ {١١} مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ {١٢} عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ {١٣} أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ {١٤} إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ {١٥} سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ {١٦}) .

ذكر المفسرون أنَّ هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة ، والزنيم : هو ابن الزنى ، قال الشاعر:

زنيمٌ ليس يُعرف مَن أبوه   بغيُّ الأُمِّ ذو حسب لئيم

وروي أنَّ الآية لمَّا نزلت جاء الوليد إلى أُمِّه فقال لها : إن محمدًا لا يكذب ، وقد وصفني بتسع صفات كلّها ظاهرة فيَّ أعرفها غير التاسعة ، يعني وصفه بـ(زنيم) فإن لم تصدقيني ، أي : إذا لم تكوني صادقة معي في قولك ، ضربتُ عنقكِ بالسيف ، فقالت له : إنَّ أباك كان عنينًا أي : لا يستطيع معاشرة النساء ، فخفتُ على المال فمكنتُ راعيًا من نفسي ، فأنتَ ابن ذلك الراعي ، فلم يعرف الوليد أنَّه ابن زنى حتى نزلت هذه الآيات .

وقد كان الوليد بن المغيرة يعلم أنَّ القرآن صدق وحق إلّا الذي كان يمنعه من أن يسلم تكبره ؛ لذلك توعدته هذه الآيات بتحطيم أنفه ، وهذا ما عناه قوله تعالى :(سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ {١٦}) وقد نزلتْ هذه الآية قبل الهجرة ، فبعد سنوات من نزولها وقعت معركة بدر وفيها جُدِع أنف الوليد ، فلم يزل مخطومًا مجدوع الأنف حتى مات ، وهذا ما يتعلق بغيب المستقبل الذي من

أمثلته الأخرى ، قوله تعالى في سورة القمر ::(سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُبُرَ) {القمر : ٤٥} نزلت هذه الآية في مكة ، والمسلمون أفراد مضطهَدون ومطارَدون ، لذلك قال سعد بن أبي وقاص : كنتُ لا أدري أي الجمع يُهزم ، إلّا أنَّني بعد نزول هذه الآية بسبع سنوات ، عرفتُ تأويلها حين رأيتُ جمع المؤمنين يهزم جمع الكافرين في معركة بدر .

ومن ذلك قوله تعالى : (غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ) [الروم: ١-٣].

يوم كان المسلمون في مكة يلقون من المشركين أشد الاضطهاد وقعت معركة بين فارس والروم ، فحقق الجيش الفارسي نصرًا ساحقًا بقيادة سابور على الروم واحتلوا أراضيهم ، وحاصروهم في القسطنطينية ، وكان الفرس مجوسًا يعبدون الشمس والنار ، وكان الروم أهل كتاب ، فكان من المتوقع أن يميل المسلمون إلى نصر الرومان على الفرس ، وكان المشركون يميلون إلى نصر الفرس على الروم ؛ لأنَّهم مثلهم ليس لهم كتاب سماوي ، فلمّا وصل إلى الجزيرة العربية نبأ محاصرة الفرس للروم شمت أهل مكة بالمسلمين ، وقالوا : ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم ، وإنَّكم إن قاتلتمونا لنظهرنَّ عليكم ، فأنزل الله هذه الآيات (غلبت الروم)

وجاء في كتب السيرة والتفسير أنَّه لما نزلتْ هذه الآية خرج أبو بكر ﵁ فراح يتلوها بين المشركين ، ويقول : لا تفرحوا فوالله لتظهرنَّ الروم على فارس ، كما أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ فقال المشركون لأبي بكر: نراهنك على أنَّ الروم لا تغلب فارس، وكان ذلك قبل تحريم الرهان ، قال أبو بكر: كم تجعلوا البضع التي هي ما بين الثلاث إلى العشر؟ قالوا: الوسط في ذلك ، نجعله ستًّا لا أكثر ولا أقل ، فوافق على ذلك ، فراهنهم على عدد من الإبل فمضت ست سنوات ولم تظهر الروم على الفرس فأخذوا الرهان من أبي بكر ،

فلما مضت تسع سنوات تحقق وعد الله فانتصر الروم على الفرس ، وعندها لام المسلمون أبا بكر ؛ لأنَّ البضع تعني الثلاث إلى العشر، وروي أنّه عند تحقق هذه النبوءة أسلم خلق كثير.

وفي هذه الآية ثلاثة شواهد من الإعجاز، وهي :

الأول : قوله تعالى (فِي أَدْنَى الْأَرْضِ) وهذا ما ثبت علميًّا ومن لدن البروفسور (بالما) أستاذ العلوم الجيولوجية في أمريكا حين جرى حوار بينه وبين الشيخ الزنداني ، بأنَّ أخفض منطقة في العالم هي القدس، وهي المنطقة التي غُلبتْ فيها الروم أمام الفرس ، حيث انتزعوا فلسطين من أيديهم ، فهزيمة الروم أمام الفرس وقعت بالتحديد في حوض البحر الميت ، الذي يقع في منطقة تقاطع ، بين سوريا والأردن وفلسطين ، ويبلغ مستوى سطح الأرض هناك ٣٩٥م تحت مستوى سطح البحر ، مما يجعل هذه المنطقة أخفض مناطق الأرض ، ولم تكن وقت نزول هذه الآية ، أجهزة المقاييس الحديثة الموجودة حاليًا ؛ لذلك كان من المستحيل أن يعرف أيُّ إنسان كان في ذلك الوقت أنَّ هذه المنطقة أكثر المناطق انخفاضًا في العالم .

والثاني: قوله تعالى (فِي بِضْعِ سِنِينَ) تحديد المدة والبضع ما بين (٣–١٠) فكان النصر بعد تسع سنوات ، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ جيبون تعليقًا على هذه النبوءة : ((في ذلك الوقت حين تنبأ القرآن الكريم بنصر الروم على الفرس لم تكن نبوءة أبعد منها وقوعًا ؛ لأنَّ السنين الاثنتي عشرة الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانهيار الإمبراطورية الرومانية)) ولكن على الرغم من ذلك فقد أعاد الروم الكرة على الفرس وانتصروا عليهم بعد أقل من تسع سنوات ، وتحقق ما تنبأ به القرآن ، فقد انهزموا حوالي سنة ٦١٤م وانتصروا حوالي سنة ٦٢٣م.

الثالث: قوله تعالى: (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) كان المسلمون وكلّ مَن كان يقرأ هذه الآية وقت نزولها يظن أنَّ المقصود أنَّ المؤمنين سيفرحون حين

ينتصر الروم على الفرس ، لكن الذي حصل أنَّه في اليوم الذي انتصر فيه الروم على الفرس انتصر المسلمون على المشركين في معركة بدر ، وفرحوا بهذا النصر التاريخي العظيم .

ومن شواهد هذا الإعجاز أن عددًا من المسلمين تطوَّع لحراسة الرسول ﷺ خوفًا عليه من أن يُقتل من قبل اليهود أو غيرهم ، وكان من بينهم : سعد ، وحذيفة ، حتى إذا نزل قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة: ٦٧] فلمّا أفاق بعد نزول هذه الآية خاطب حراسه قائلًا : انصرفوا عنِّي فإنَّ الله قد تولى حراستي.

والمعنى : بلِّغ الناس سرًّا وجهرًا ، والله يعصمك : والمقصود أن يعصمه من القتل لا من الأذى.

وهذا ما تحقق بعد نزول هذه الآية ، فعن أبي هريرة ﷺ ، قال: نزل رسول الله ﷺ ذات يوم تحت شجرة وعلّق سيفه فيها ، ونام تحتها ، وأصحابه بعيدون عنه فجاء رجل وأخذ السيف، فقال : يا محمد، مَن يمنعك مني؟! فقال: الله ، فوقع السيف من يده ، فأخذه رسول ﷺ فقال: من يمنعك مني؟! فقال: كن خير آخذ ، فعفا عنه الرسول الله ﷺ وطلب منه أن ينطق بالشهادتين ، فأبى ، إلّا أنَّه وعد رسول الله ﷺ بأنَّه لا يقاتله فيما بعد ولا يشارك أحدًا في قتاله.

وقد قاد الرسول ﷺ الغزوات بنفسه وكان في كل غزوة أقرب الناس إلى العدو ، فعصمه الله منهم ، من اليهود وغيرهم ، ومن كل مكايدهم.

وكان الوليد بن المغيرة من المشركين المقاومين للرسول ﷺ ودعوته إلّا أنَّه مع ذلك كان معجبًا بالقرآن الكريم ، ويتأثر عند سماعه إيّاه حتى إنَّه بالغ في مدحه أمام أقرانه من المشركين ، وذكر لهم بأنَّ القرآن كلام لا يشبه شعر الشعراء ولا سجع الكهان ولا كلام البلغاء ، وأنَّه يعلوهم جميعًا ، حتى ظن

أصحابه بأنَّه قد يعلن إسلامه في يوم ما ، إلّا أنَّه مع ذلك قد أنزل الله فيه قرآنًا بأنَّه من أهل النار ، فقال تعالى: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ {٢٦}وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ) [المدثر:٢٦-٢٧] وهذا ما حصل فقد مات مشركا ومن المعادين للإسلام .

وكان الناس يتوقعون أنَّ أبا لهب قد ينحاز لابن أخيه ، في يوم ما ويميل إليه وإلى دعوته فيعلن إسلامه في الأقل بدافع العصبية ؛ لأنَّه كان عمّ الرسول ﷺ إلّا أنَّ الله سبحانه ، أنزل فيه سورة كاملة ، سورة المسد ، تتوعده بالعذاب في النار فقال تعالى: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ {١} مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ {٢} سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ {٣} وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ {٤} فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ {٥}) . وهذا ما حصل، فقد ظل مشركًا حتى مماته فكان من أهل النار.

وقد كان أبو سفيان أشدّ معاداة للإسلام من الوليد بن المغيرة فقد قاد غزوة الأحزاب التي اجتمعت لغزو المسلمين في المدينة ، وكذاك كان خالد بن الوليد الذي قاد جيش المشركين في معركة أحد وكان سبب انتصارهم واستشهاد عدد كبير من الصحابة ﭬ وتخضيب وجه الرسول ﷺ بالدماء ، إلّا أنّه مع ذلك لم تنزل عليه ، ولا على أبي سفيان من القرآن مثل ما نزل على الوليد وأبي لهب ، ذلك أنَّ أبا سفيان أعلن إسلامه يوم فتح مكة وحسن إسلامه ، أمّا خالد بن الوليد رضي الله عنه فقد لقبه رسول الله ﷺ بعد إسلامه بسيف الله المسلول.

وكان الرسول ﷺ قد رأى في المنام قبل خروجه إلى الحديبية قائلًا يقول له : ما مفاده : إنَّك وأصحابك ستدخلون المسجد الحرام في مكة وأنّهم سيدخلونها وقد حلقوا وقصّروا ، فأخبر بذلك أصحابه ، ففرحوا فلمَّا خرجوا إلى الحديبية ، سنة ست من الهجرة ، ولم يخرج الرسول ﷺ لقتال ، بل ليعتمر ويطوف هو وأصحابه بالكعبة والسيوف في أغمادها ، وقد كان الرسول ﷺ قد خرج بصحبه ألف وخمسمئة رجل من أصحابه تقريبًا حتى نزلوا في منطقة

تسمى الحديبية على بعد تسعة أميال من مكة فمنعه المشركون من دخولها وعُقدت بينه وبينهم ما سُمِّي بمعاهدة صلح الحديبية ، وكان أصحابه ﷺ قد اعتقدوا بأنَّهم سيدخلون مكة معتمرين ، فخاب ظنُّ عدد منهم حتى جاؤوا إلى الرسول ﷺ وقالوا : يا رسول الله ، ألم تعدنا بأنَّا سندخل مكة ؟ فقال: بلى، ولكن لم أعدكم أنَّكم ستدخلونها هذا العام.

فأنزل الله قوله تعالى: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) [الفتح:٢٧].

وتحقق مضمون هاتين الآيتين بحذافيره ، وتم ذلك عند فتح مكة في السنة العاشرة من الهجرة ، فدخلوا المسجد الحرام من غير قتال ، منتصرين آمنين، محلقي رؤوسهم ومقصرين للحج والعمرة ، غير خائفين ، والمشركون ناكسو رؤوسهم ، وكان ذلك للمسلمين فتحًا عظيمًا ، وصدق الله رب العالمين.

الإعجاز التاريخي

قصة أهل الكهف : قصّ القرآن الكريم أخبار الأوَّلين مما أكدتْ الاكتشافات الحديثة صحتها ، من ذلك مثلًا أنّ مديرية الآثار الأردنية عثرتْ على كهف وجدتْ فيه بعد أن أجرتْ فيه حفريات تنقيب سبع جماجم بشرية وجمجمة كلب ، وهذا ما جاء به القرآن الكريم ، قال الله تعالى : (سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاء ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا){الكهف :٢٢}

قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل ، كانوا سبعة ، إنَّ الله عدّهم حتى انتهى إلى السبعة ، قال المفسرون : إنَّ الله لمَّا ذكر القول الأول ، والثاني ، أردفه بقوله تعالى : (رَجْمًا بِالْغَيْبِ) ولمَّا ذكر القول الأخير، لم يقدح فيه بشيء ، فكأنَّه أقرَّ قائله .

وعثرتْ على فجوة في وسطه ، وقد قال الله تعالى : (وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْه){الكهف : ١٧} وعلى أعمدة ، تدل على أنَّها أعمدة مسجد ، وهي المشار إليها في قوله تعالى : (إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا){الكهف : ٢١}

ولاحظتْ مديرية الآثار أنّ باب هذا الكهف كان على جهة يواجه بها الشمس صباحًا ثم تغيب عنه حتى يواجهها قبل غروبها ، وفي منطقة تسمى الركيم ، وهي محرفة عن الرقيم ، وقد حدّد القرآن الكريم بدقة جهة باب الكهف ، بقول الله تعالى : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا){الكهف : ١٧}

فقد جاءت أوصاف هذا الكهف مطابقة تمامًا لما أخبر به القرآن الكريم

فراعنة مصر وملوكها : لُقِّب حكام مصر القدامى بالفراعنة ، والقرآن الكريم كلّما ذكر واحدًا منهم ذكره بلفظ فرعون ، وقد ذكرهم بهذا اللقب في أكثر من سبعين موضعًا ، كقوله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ){البقرة : ٤٩} وقوله تعالى : (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ){آل عمران : ١١}

وقوله تعالى : (وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ){الأعراف : ١٠٤} إلّا في سورة يوسف ذكر فيها حاكم مصر بلقب الملك في خمسة مواضع ، لا بلقب فرعون ، مع أنَّ يوسف ، عليه السلام ، عاش في مصر ، كقوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ){يوسف : ٤٣}

وقوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ){يوسف : ٥٠}

وسرّ هذه القضية ظل غامضًا حتى استطاع أثري أجنبي يُدعى (شامبليون) من حلّ رموز الكتابة الهيروغليفية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، فتعرَّف هذا العالم الأثري إلى تاريخ مصر ، واكتشف أنَّ يوسف عليه السلام عاش في مصر في أيام الملوك الرعاة ، الهكسوس ، الذين تغلبوا على جيوش الفراعنة ، وظلوا في مصر من سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد ، إلى سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد ، حتى أخرجهم أحمس الأول وألَّفوا الإمبراطورية الفرعونية ، لذلك لم يقل ، سبحانه ، وقال فرعون ائتوني به أستخلصه لنفسي ، بل قال ، تعالى ذكره : (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي){يوسف : ٥٤} لأنَّ يوسف ، عليه السلام ، كما تقدم ، عاش في أيام الملوك الرعاة ، حيث تربَّع على عرش مصر ملوك ، بدلًا من الفراعنة الذين انحسر حكمهم في الصعيد ، وجعلوا عاصمتهم طيبة .

أليس إذن في استعمال لفظ (الملك) في سورة يوسف ، بدلًا من لفظ (فرعون) معجزة قرآنية تاريخية ؛ لأنَّ سر ذلك لم يُعرف إلّا حديثًا ، ومن لدن كبار علماء الآثار المحدثين .

غرق فرعون موسى ونجاة جثته : قصَّ لنا القرآن الكريم نهاية فرعون موسى وغرقه ، قال الله تعالى : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٩٠} آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ {٩١} فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ){يونس : ٩٠-٩٢}

جاء في كتب التفسير عن ابن عباس وغيره : أنَّ الله ، سبحانه بعد أن أغرق فرعون ، شكّت طائفة من بني إسرائيل في موت فرعون ؛ فأمر الله ، تعالى ، البحر أن يلقيه بجسده سويًّا بلا روح ، وعليه درعه المعروفة على مكان مرتفع من الأرض ؛ ليتحققوا من موته وهلاكه ؛ ولهذا قال سبحانه : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) أي : لتكون لبني إسرائيل دليلًا على موتك ، وآية يراها الناس إلى قيام الساعة .

وقد كانت هذه الآية سببًا في إسلام : موريس بوكاي ، مَن هو موريس بوكاي ؟! ، إنَّه شامة فرنسا ورمزها الوضَّاء ، فقد ولد من أبوين فرنسيين ، وترعرع كما ترعرع أهله في الديانة النصرانية ، ولمَّا أتمَّ تعليمه الثانوي التحق طالبًا في كلية الطب في جامعة فرنسا ، فكان من الأوائل حتى نال شهادة الطب ، وارتقى به اجتهاده حتى أصبح أشهر جرّاح عرفته فرنسا الحديثة ، وكان لمهارته في الجراحة قصة عجيبة قلبت له حياته ، وغيّرت له كيانه .

اشتهر عن فرنسا أنَّها من أكثر الدول اهتمامًا بالآثار والتراث ، وعندما تسلّم الرئيس الفرنسي الاشتراكي الراحل : فرانسوا ميتران ، زمام الحكم في البلاد سنة ١٩٨١م طلبت فرنسا من حكومة مصر في نهاية الثمانينات استضافة مومياء : فرعون مصر إلى فرنسا ؛ لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية ومعالجة ، فتمَّ نقل جثمان أشهر طاغوت عرفته مصر ، وهناك وعلى أرض المطار اصطفّ الرئيس الفرنسي منحنيًا ، هو ووزراؤه ، وكبار المسؤولين في البلد عند سُلّم الطائرة ؛ ليستقبلوا فرعون مصر استقبال الملوك ، وكأنَّه ما يزال حيًّا ، وكأنَّه إلى الآن يصرخ على أهل مصر (أنا ربُّكمُ الأعلى){النازعات : ٢٤}

وعندما انتهت مراسيم الاستقبال الملكي لفرعون مصر على أرض فرنسا ، حُمِلتْ مومياء الطاغوت بموكب ، لا يقل حفاوة عن استقباله ، وتمَّ نقله

إلى جناح خاص في مركز الآثار الفرنسي ؛ ليبدأ بعدها أكبر علماء الآثار في فرنسا ، وأطباء الجراحة والتشريح دراسة تلك المومياه واكتشاف أسرارها .

وكان رئيس الجراحين والمسؤول الأول عن دراسة هذه المومياه الفرعونية ، البروفيسور ، الدكتور الفرنسي : موريس بوكاي ، كان المعالجون مهتمين في ترميم المومياه ، بينما كان اهتمام رئيسهم : موريس بوكاي ، مختلفًا عنهم إنَّه كان يحاول أن يكتشف كيف مات هذا الملك الفرعوني ، وفي ساعة متأخرة من الليل ، ظهرت نتائج تحليله النهائية .

لقد كانت بقايا الملح العالق في جسده أكبر دليل على أنّه مات غرقًا ، وأنّ جثته استُخرجت من البحر بعد غرقه فورًا ، ثمّ أسرعوا بتحنيط جثته ؛ لينجو بدنه ، لكنَّ ثمة أمرًا غريبًا ما يزال يحيُّره ؛ وهو كيف بقيت هذه الجثة من دون باقي الجثث الفرعونية المحنطة أكثر سلامة من غيرها ، برغم أنّها استُخرجت من البحر.

بينما كان موريس يعدّ تقريرًا نهائيًّا ، عمّا كان يعتقده اكتشافًا جديدًا في انتشال جثة فرعون من البحر، وتحنيطها بعد غرقه ، همس أحدهم في أذنه قائلًا ، لا تتعجّل فإنّ المسلمين يتحدثون عن غرق هذه المومياه ، لكنّه استنكر بشدّة هذا الخبر واستغربه ، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلّا بتطور العلم الحديث ، وبوساطة أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقّة ، فقال له أحدهم : إنّ قرآنهم الذي يؤمنون به يروي قصةً عن غرقه ، وعن سلامة جثته بعد الغرق ؛ فازداد ذهولًا ، وأخذ يتساءل : كيف يكون هذا ، وهذه المومياه لم تُكتشف أصلًا إلّا في عام ١٨٩٨م ، أي : قبل مئتي عام تقريبًا ، بينما قرآنهم موجود قبل أكثر من ألف وأربعة مئة عام ، وكيف يستقيم في العقل هذا ، والبشرية جمعاء وليس العرب فقط ، لم يكونوا يعلمون شيئًا عن قيام قدامى المصريين بتحنيط جثث فراعنهم ، إلّا قبل عقود قليلة من الزمان ؟! هل يُعقل أن يعرف محمد ، نبيّ المسلمين هذا قبل أكثر من ألف عام ، وأنا للتو أعرفه ؟!

لم يستطع موريس أن ينام ، وطلب أن يأتوا له بالتوراة ، فأخذ يقرأ في : سفر الخروج من التوراة قوله : فرجع ماء البحر، وغطّى مركبات جيش فرعون ، وفرسانهم جميعًا ، لم يبق منهم ، ولا واحد ، حتى الإنجيل لم يتحدّث عن نجاة هذه الجثة ، وبقائها سليمة .

وبعد أن تمّت معالجة جثمان فرعون وترميمه ، أعادت فرنسا لمصر المومياه بتابوت زجاجي فاخر ، يليق بمقام فرعون ، ولكن موريس لم يهدأ له بال ، منذ أن هزّه الخبر الذي يتناقله المسلمون عن سلامة هذه الجثة ؛ فحزم أمتعته وقرر أن يسافر إلى المملكة العربية السعودية لحضور مؤتمر طبّي ، يحضره جمع من علماء التشريح المسلمين ، فقال في أول حديثه : إنّه اكتشف نجاة جثّة فرعون بعد الغرق ، فقام أحد الحاضرين من المسلمين ، وفتح له المصحف ، وأخذ يقرأ له قول الله تعالى : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ {٩٠} آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ {٩١} فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) (يونس : ٩٠-٩٢)

لقد كان وقع الآية عليه شديدًا ، ورجّت كيانه رجّا ، جعلته يقف أمام الحضور ، ويصرخ بأعلى صوته : لقد دخلتُ الإسلام ، وآمنتُ بهذا القرآن

رجع موريس بوكاي إلى فرنسا بغير الوجه الذي ذهب به ، وهناك مكث عشر سنوات ، ليس لديه شغل سوى دراسة قضية تطابق الحقائق العلمية والمكتشفة حديثًا مع القرآن الكريم ، وكان من ثمرة هذه الدراسة أن خرج بتأليف كتاب عن القرآن الكريم ، هزّ الدول الغربية قاطبة وعلماءها هزّا ، لقد كان عنوان الكتاب : (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم / دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) فماذا فعل هذا الكتاب ؟! من أوّل طبعة له ، نفد من جميع المكتبات ، أُعيد طبعه مرة بعد أُخرى بمئات الآلاف من النسخ بعد أن

تُرجم من لغته الأصلية (الفرنسية) إلى عدة لغات ، منها العربية والإنكليزية والألمانية ، لينتشر بعد ذلك في كل مكتبات الشرق والغرب .

وقد حاول علماء اليهود والنصارى أن يردّوا على هذا الكتاب ، فلم يكتبوا سوى تهريج جدلي ، ومحاولات يائسة تمليها عليهم وساوس الشيطان ، بل الأعجب من ذلك أنّ بعض العلماء في الغرب شرع يجهز ردّا على الكتاب ، فلمّا انغمس قي قراءته وتمعّن فيه ، أسلم ونطق بالشهادتين على الملأ .

وقد ذكر موريس في هذا الكتاب بأنَّه قام بدراسة التوراة والإنجيل والقرآن ، فاستنتج بعد استقصاء المسائل العلمية ، أنَّ الذي أخبر به القرآن عن مصير فرعون موسى بعد إغراقه في البحر مطابق تمامًا للواقع المتمثل في وجود جثته حتى يومنا هذا ، فقد أكدتْ الفحوص الطبية بأنَّ الجثة المحنّطة لرمسيس الثاني ، هو فرعون موسى نفسه ، وذكر أنَّ التوراة تذكر أنَّ جثة فرعون ابتلعها البحر ، لكنها لا تعطي تفصيلًا بشأن ما حدث لها فيما بعد ، أمَّا القرآن الكريم فقد ذكر أنَّ الجثة لم تبق مدة طويلة في الماء .

وقد أظهر الفحص الطبي العلمي والدقيق لمومياه فرعون موسى ، بمساعدة الأستاذ : مايكل دوريجون ، والأستاذ سيكالدي ، مدير مخبر الهوية الفضائية في باريس بأنَّ كدمات جمجمية مخّية سببت موته بسرعة ، وأظهر الفحص أيضًا أنّ الجثة لم تبق في ماء البحر مدة طويلة ، إذ إنَّ هذا الفحص الدقيق بالميكروسكوب ، وأحدث الأجهزة لم يُظهر أية علامات للتلف التام ، بل أظهر حالة الحفظ التام لأصغر الأجزاء التشريحية للعضلات ، وأشارت لجنة الفحص إلى أنَّ مثل هذا الحفظ لم يكن ممكنًا لو أنَّ الجسد بقي في الماء بعض الوقت ، أو حتى لو بقي خارج الماء طويلًا قبل أن يخضع لأول عمليات التحنيط .

وقال موريس بوكاي في كتابه المذكور : ((في العصر الذي وصل فيه القرآن عن طريق محمد ، صلى الله عليه وسلم ، كانت جثث كل الفراعنة

... مدفونـة فـي مقـابر وادي الملـوك بطيبـة علـى الضـفة الأخـرى للنيـل ، أمـام مدينـة الأقصـر الحاليـة ، ففـي عصـر محمـد كـان كـل شـيء مجهـولًا عـن هـذا الأمـر ، ولـم تُكشـف هـذه الجثـث إلّا فـي نهايـة القـرن التاسـع عشـر ... وهـذه المعلومة التاريخية عن مصير جثة فرعون لم تكن في حيازة أحد من البشر عند نزول القرآن ، ولا بعد نزوله بقرون عديدة))

الإعجاز التشريعي

مـا شـرَّع القرآن الكـريم شيئًا ، إلّا وقـد بانـت علميًّا الحكمـة مـن هـذا التشريع ، فما حرِّم ما حرَّم ، إلاَّ وقد ثبتت مساوئه وأضراره قديمًا ، أو اكتشفت حـديثًا ، وكـذلك مـا أحـلَّ مـا أحـلَّ ، إلاَّ وقـد ثبتـت محاسـنه وفوائـده قـديمًا ، أو اكتشفت حديثًا ، وفيما يأتي ذكر نماذج من هذا الإعجاز :

(وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)){البقرة : ١٨٤} : شرَّع الله لنا الصوم ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ){البقرة : ١٨٣}

صـيام شـهر فـي السـنة "هـو مـا ينصـح بـه الطـب الحـديث، تقـول أحـدث نظريات علم الصحة : أنَّه من الواجب، ولا سيّما على المتقدمين في السنّ أن يصوموا يومًا في الأقل في كل أسبوع ، أو أسبوعًا في كل شهر والأفضل شهرًا في كل عام.

إذ قد تبين أنَّ الإنسان غالبًا ما يصاب ببعض البؤرات الصديدية التي تتكون داخل جسمه وتصب إفرازاتها السامة في الدم، ولا يشعر الإنسان بها إلّا إذا زاد ذلك الإفراز في الجسم ، فإذا الإنسان يمرض فجأة بأمراض قد يكون التسمم أقلَّها ، وقد عرف أنَّ الصوم خير وسيلة لتجنب الإصابة بهذه البؤرات ؛ إذ عنـدما تقـلّ المـواد الغذائيـة فـي الجسـم يبـدأ الجسـم فـي اسـتهلاك أنسـجته الداخلية، وأوّل ما يستهلكه منها الخلايا المصابة التي تكون قد ضعفت نتيجة الالتهـاب ، كمـا يـذيب الصـيام الأورام الصـغيرة فـي أول تكوينهـا ويمنـع تكـوين الحصوات والرواسب الجيرية ، فيحللها أوّلًا بأوّل.

وفي ذلك يقول الدكتور روبرت بارتولو : لا شك في أنّ الصوم يُعدُّ من الوسائل الفعالة في التخلص من الميكروبات ، كميكروب الزهري لِما يتضمن من إتلاف للخلايا ثم إعادة بنائها من جديد.

وقد أُنشِئتْ في العالم مصحات تجعل الصيام الوسيلة الأساسية للعلاج كمصحة الدكتور هنريج لاهمان ، ومصحة الدكتور مولر ، ومصحة الدكتور مرشر بنر وغيرها ، ويقوم العلاج في هذه المصحات على التخلص من الفضلات الزائدة عن حاجة الجسم التي ترهق الأعضاء، وإتاحة الفرصة للأعضاء الهاضمة من الأطعمة بأن تستريح قليلا"[١].

وقد قام الدكتور : لودفيفوكورنا ، باستعمال الصوم في معالجة مختلف الأمراض ، وطبَّق طريقته في الصوم على نفسه ، وعاش ما يقارب مئة سنة ، مع تمتعه بصحة جيدة ، بعد أن كان يعاني من داء عضال ، وألَّف في أيامه الأخيرة رسالة في المعالجة بالصوم ، تحت شعار : من يأكل قليلًا يعمِّر طويلًا ، وقد قال الله تعالى : (وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ){الأعراف : ٣١}

لذلك دعا الأطباء في العصر الحديث إلى اتخاذ الصوم وسيلة لعلاج الكثير من الحالات المرضية ، منها ما قاله الطبيب السويسري : بارسيلوس : إنَّ فائدة الصوم في العلاج تفوق مرات ومرات استخدام الأدوية المختلفة ، وقال بنيامين ، الأستاذ بجامعة موسكو : لو راقبنا الإنسان عن قرب لوجدنا أنَّ نفسه تَعافُ الطعام ، وترفضه في بعض الأوقات ، وكأنَّها بذلك تفرض على نفسها الصيام الموقت الذي يؤمِّن لها التوازن الداخلي ، ويحفظها من المؤثرات الخارجية .

وعمد الدكتور : هلبا ، في فرنسا سنة ١٩١١م إلى طريقة المعالجة بالصوم على فترات متقطعة ، فكان يمنع الطعام عن مرضاه بضعة أيام ، ثم

---

(١) الاسلام والعلم الحديث للاستاذ عبد الرزاق نوفل.

يقدم لهم بعدها وجبات طعام خفيفة ، ولاحظ الشفاء المذهل لهؤلاء المرضى ، بدرجة لا مثيل لها ، وقد قال الله تعالى : (وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ){البقرة : ١٨٤}

وفي سنة ١٩٢٨م ألقى الدكتور : وترمان ، في المؤتمر الثامن لاختصاص الحمية الغذائية في : أمستردام ، محاضرة دعا فيها إلى استخدام الجوع على فترات متقطعة في الممارسة الطبية ، أي : العلاجية ، وقد أقر المجتمعون بفائدة الصيام لمعالجة الأمراض الناجمة عن فرط التغذية ، وفي حالات تصلب الشرايين ، وارتفاع ضغط الدم .

وفي سنة ١٩٤١م صدر كتاب : بوخنجر ، بعنوان : المعالجة بالصوم ، كطريقة بيولوجية ، شرح فيه المؤلف كيفية استخدام الصوم في معالجة كثير من الأمراض المستعصية ، وبيَّن أنَّ الجوع يغيِّر من تركيب البنية العضوية للجسم ، ويؤدي إلى طرح السموم منه

ما حرّم القرآنُ أكلَه : حرَّم القرآن الكريم علينا أكل لحم الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، قال الله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){المائدة : ٣}

- المنخنقة : الدابَّة التي تُخنق حتى تموت .
- والموقوذة : الدابَّة التي ضُرِبتْ حتى تموت .
- والمتردية : الدابَّة التي تقع من جبل ، أو تسقط من موضع مشرف فتموت .
- والنطيحة : ما تناطح من الدواب ، فمات .

– والتذكية ، الذبح الشرعي للطير ، أو الحيوان .

قال الشيخ الزنداني : كان العرب في الجاهلية يمتدحون الميتة ، ويفضلونها على ما يُذبح ، فيقولون ما أماته الله خير مما أمتناه ، لكن القرآن الكريم جاء بتحريم الميتة صراحة (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) ويأتي علم الكائنات الدقيق بأسرار هذا التحريم ، فقد وجد العلماء أنَّ جسم الحيوان مُحَصَّن بجدران داخلية تمنع تسرب المواد الضارة ، والسموم إلى داخل الخلايا ، فالحيوان محصَّن بهذه الجدران ضد غزو الجراثيم ، ما دام الحيوان حيًّا ، فإذا ماتت الشاة ، أو البقرة سقطت هذه الحصون ، والجدران ، وغزت الجراثيم كل مواضع جسمها ، بوساطة الدماء التي بقيت في جسمها ، فتتحول جثتها بعد موتها بخمس ساعات ، أو أقل إلى مستودع للجراثيم ، والعفونات ، لكنّه عند ذبحها تتخلص من هذه السموم بخروج الدم منها

جرى حوار بين الشيخ الزنداني ، والدكتور جون هانفر لارسون ، أكبر أطباء المستشفى الرسمي في كوبنهاجن ، قال الدكتور لارسون : إنَّ القوانين عندنا في أوربا تحرِّم جميع أنواع الميتة ، أجابه الشيخ الزنداني ، حرمتم ذلك حديثًا بعد أن تعرَّفتم إلى أضرار أكل الميتة ، أمَّا المسلمون فقد عرفوا ذلك قديمًا ، منذ أن عرفوا القرآن الكريم ، قبل أربعة عشر قرنًا .

وسأل الشيخ الزنداني الدكتور لارسون عن المنخنقة قائلًا : والمنخنقة التي تموت خنقًا : ما رأيك فيها ؟ قال : القانون عندنا في الدنمارك الآن يحرِّم أكل لحم الحيوان الذي يموت خنقًا ، قال الزنداني : متى عرفتم هذا ؟ قال الدكتور لارسون : يعد من القوانين الحديثة ، بعد أن اكتشفنا أنّ الموت البطيء بسبب الخنق يمكن أن يجعل الحيوان مستودعًا ضخمًا للجراثيم ؛ لأنّه عندما يبدأ يموت خنقًا ، فإنَّ مقاومة جدران الأمعاء الغليظة ، والمقاومة ضد الجراثيم تضعف فتغزو الجراثيم الجسم .

وسأله عن الموقوذة ، وهي التي تموت بالضرب ، قال لارسون : هذا الضرب الشديد يجعل العروق تتحطم وتختلط بالدماء واللحم ، مما يؤدي إلى إفراز مواد سامَّة ، هي التي تسبب هذا التورم نتيجة للضرب ، وسأله عن المتردية فكانت الإجابة نفسها .

وقد أثبتت البحوث الطبية الحديثة أنّ لحم الخنزير يحمل أخبث أنواع البكتريا ، والفيروسات والطفيليات الضارة ، وأثبتت أنَّ الخنزير ، هو المأوى والمُعيل الوحيد للدودة الشريطية ، وتنتقل إلى جسم الإنسان عن طريق أكل لحم الخنزير ، وآخر الأبحاث اكتشفت أن أكل لحم الخنزير يمهد للإصابة بالسرطان ، وقد جرى حوار بين باحثين مسلمين والدكتور جون لارسون ، حيث صرّح لارسون هذا ، لهيئة الإعجاز عن وجود جرثومة خطرة يحملها الخنزير ، وقد شاعت أخبار عالمية سنة ٢٠٠٩م عبر القنوات الفضائية عن انتشار وباء سموه : عدوى الإصابة بإنفلونزا الخنازير ، حتى عمدت حكومات ودول للوقاية من هذا الوباء بحجز قطعان الخنازير في أماكن محصنة ؛ خشية انتشار هذا الوباء في بلادها

وسأل الشيخ الزنداني الدكتور جون هانفر لارسون ، عن علاقة الجراثيم بالدم ، فأجابه بأنَّ الدم إذا سقطت عليه الجراثيم من السكين ، أو يد الجزار ، فإنَّها تتولَّد وتتكاثر بسرعة ، وتغزو الدم كلّه ، وتتغذى بمواد الدم ، فالدم مادة خصبة لنمو هذه الجراثيم ، حتى يصبح الدم مستودعًا لها

هذا ما ذكرته التقارير الطبية الحديثة ، الصادرة من أشهر أطباء العالم في أوربا ، والغرب ، في هذه الأيام عن الأضرار والمساوئ الصحية الناجمة من أكل : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وأكل لحم المنخنقة ، والمتردية ، والنطيحة ، لذلك حرموا أكلها في بلادهم في القرن العشرين ، وقد حرمها القرآن على أتباعه قبلهم بأربعة عشر قرنًا .

ما حرَّم القرآن شربَه (الخمر) : يُعدُّ القرآن الكريم ، الكتاب السماوي الوحيد الذي حرَّم شرب الخمر ، قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {٩٠} إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ){المائدة : ٩٠-٩١}

وأضرار الخمر الكبيرة لا تخفى على أحد ، ففي بداية عام ١٩٩٠م قالت صحيفة رسمية في الصين : إنَّ المسؤولين الصينيين رُوِّعوا بالمشاكل الاجتماعية التي يسببها شرب الخمر كحوادث القتل والطلاق.

وقد كشفت دراسة عالمية صدرت في أمريكا على أنَّ شرب الخمر كان وراء أغلب حالات الاعتداء الجنسي على أطفال الأسرة والمحارم ، كالزنى بالأمهات والأخوات والبنات ، كما أنها مسؤولة عن ٨٥% من حوادث القتل.

وقد بدأت السلطات في منغوليا الداخلية تتحدث عن احتمال إصدار قوانين تحرِّم الخمور ، وهذا ما تتمناه كل الحكومات الغربية والأوربية ، لو استطاعت قوانينها أن تصرف شعوبها عن شرب الخمر ، إلّا أنَّ قوانينهم لا تملك القوة التي يملكها القرآن في التأثير في النفوس وإصلاحها ، فأين نظام البشر من شرع الله؟!.

ففي بداية القرن العشرين أرادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تخلِّص شعبها من مضار الخمر، وتجرِّب ما جاء به القرآن الكريم ؛ فشَّرعت في سنة ١٩٣٠م قانون تحريم الخمر الذي حرَّم على الناس بيع الخمور ، أو شراءها أو صنعها أو تصديرها أو استيرادها ، وقد مهَّدت الحكومة لهذا القانون بدعاية واسعة عن طريق السينما والتمثيل والإذاعة ونشر الكتب والرسائل وكلّها تبين مضار الخمر مدعومة بالإحصائيات الدقيقة والبحوث العلمية الطبية.

وقد قدّر ما أُنفق على هذه الدعاية (٦٥) مليون دولار ، وسُوِّدتْ تسعة آلاف مليون صفحة في بيان مضار الخمر والزجر عنها.

وبلغت الغرامات التي فُرضت على المخالفين (١٦) مليون دولار وصودرت ممتلكاتهم ما يبلغ (٤٠٠) مليون دولار، وأُعدم من أجل تنفيذ هذا القانون (٣٠٠) نسمة ، وسجن ٥٣٢,٣٣٥ أمريكيًّا ، ولكن مع ذلك لم تزدد الأمَّة الأمريكية إلّا غراما بشرب الخمر ، وعنادًا وإصرارًا في تعاطيها ، وكان آخر المطاف أن اضطرت الحكومة الأمريكية إلى إلغاء قانون التحريم في تشرين الثاني سنة ١٩٣٣م ، ولم تنفعها تلك الأموال الطائلة والتضحيات الجسيمة ؛ لحمل الناس على ترك الخمر الذي ثبتت عندها أضراره[١].

فما أعظمَ القرآنَ ! وما أعظمَ أثرَه في النفوس ! فقد كان قبل تحريم الخمر نفر من الصحابة في مجلس وكؤوس الخمر بين أيديهم ، فلما رنَّت في آذانهم آية التحريم التي انتهت بقوله تعالى:(فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ){المائدة: ٩١} كسروا من فورهم كؤوس الخمر جميعها ، وقالوا بصوت واحد انتهينا يا ربُّ انتهينا ، فقد أراقوا خمورهم بأيديهم ، لا بيد شرطي أو جندي أو رقيب.

إباحة تعدد الزوجات : شرَّع الله لنا تعدد الزوجات ، قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ){النساء: ٣}

وليس العدل المطلوب بين الزوجات شيئًا سهلًا ولا سيّما في الحبّ القلبي والميل النفسي؛ لذلك نفاه القرآن عن مقدور الإنسان حتى لو حرص على ذلك. قال تعالى: (وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ

(١) التشريع الرباني والقانون الوضعي للاستاذ أبي الاعلى المودوي وينظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية للدكتور عبد الكريم زيدان، ص٤٢-٤٣.

كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا){ النساء: ١٢٩}

فقد وضع الإسلام لمبدأ تعدد الزوجات شرطين أساسيين هما: العدل والمقدرة ، فمن لم يستطع أن يعدل بين نسائه ، أو ليست له المقدرة المالية على إعالة امرأتين أو أكثر حُرِّمَ عليه تعدد الزوجات.

فمن قدر على الوفاء بحقوق ثلاث مما يحتجن إليه من سكن وطعام وكسوة دون الرابعة ، حُرِّمَ عليه أن يعقد على الرابعة ، ومن قدر على الوفاء بحقوق اثنتين دون الثالثة حُرِّمَ عليه أن يعقد على الثالثة ، ومن قدر على إعالة امرأة واحدة دون الثانية حُرِّمَ عليه أن يعقد على الثانية ، بل من عجز عن القيام بحق امرأة واحدة حُرِّمَ عليه أن يتزوج ، حتى يتحقق له القدرة المالية على إعالة المرأة التي يتزوجها.

بل ذهب بعض الأئمة إلى جواز التفريق بين المرأة وزوجها المعسر الفقير ، إذا عجز عن النفقة لفقره ، وطلبت هي ذلك ؛ لأنَّ الشرع لم يكلفها الصبر على الجوع مع زوج فقير ، ما لم تقبل هي بذلك من باب الوفاء ومكارم الأخلاق.

وإذا ظهرت في تعدد الزوجات مشاكل ، فإنَّها لم تظهر إلا بسبب عدم اتباع الرجال لتعاليم الإسلام ، والإسلام غير مسؤول عن مشكلات تحدث لعدم اتّباع منهجه وتعاليمه ، فمشاكل تعدد الزوجات تظهر حين لا يعدل الرجل بين نسائه ، والإسلام ما أباح التعدد إلا بشرط توافر العدالة التامة بينهن ، والقدرة على الإنفاق على نسائه وأولادهن.

فإذا ظهرت في تعدد الزوجات مشاكل لا يكون علاجها بمنع ما أباحه الله، وإنّما يكون العلاج بالتعليم والتربية وتفقيه الناس أحكام الدين.

ألا ترى أنّ الله أباح للإنسان أن يأكل ويشرب دون أن يتجاوز الحدّ ، فإذا أسرف في الطعام والشراب أصابته الأمراض ، فليس ذلك راجعًا إلى

الطعام والشراب ، بقدر ما هو راجع إلى النهم والإسراف ، وعلاج مثل هذه الحالة لا يكون بمنعه من الأكل والشرب ، وإنّما يكون بتعليمه الآداب التي ينبغي اتباعها في أكله وشربه.

ومع أن الإسلام اشترط لتعدد الزوجات المقدرة على العدل والإنفاق وقصره على أربع فقد جعل من حقّ المرأة أن تشترط أو يشترط ولي أمرها أن لا يتزوج الرجل عليها ، فإذا اشترطت ذلك وقبله الرجل ، صحّ هذا الشرط ولزم على الزوج الوفاء به ، ويكون لها عندئذ حق فسخ الزواج إذا لم يف لها بالشرط.

كما أنّ الرجل إذا تزوج من امرأة ثانية ، أذن الشرع الإسلامي للزوجة الأولى أن تكون حرة مختارة من أن تكون زوجة ثانية لرجل متزوج ، أو ، لا ، ولها الحق في رفع أمرها إلى القضاء إذا رأت أنّ زواج زوجها من امرأة أخرى قد صار زواجا يضرّها في كرامتها ، أو في عدم مقدرته على النفقة أو إذا رأت أنه لا يعدل بينها وبين الزوجة الأخرى فجاز لها أن تُطلَّق من قبل القاضي إن هي رغبت في ذلك.

وإذا نظرنا إلى حقيقة المجتمع الغربي يتبين أنّ المبدأ الذي ينادون به ، مبدأ الاكتفاء بزوجة واحدة ، ومنع تعدد الزوجات لا وجود له في واقعهم.

إنّ تعدد الزوجات موجود في المجتمع الغربي، لكنه يختلف عن مبدأ تعدد الزوجات في المجتمع الإسلامي، بما يأتي:

١-تعدد الزوجات في المجتمع الإسلامي يقع باسم الزوجات لكنه في المجتمع الغربي يقع باسم الصديقات والخليلات.

٢-يقع تعدد الزوجات في المجتمع الإسلامي بصفة علنية لكنه في المجتمع الغربي يقع بصفة سرّية.

٣-تعدد الزوجات في المجتمع الغربي يحصل بطريق حرام غير شرعي ويحصل في المجتمع الإسلامي بطريق حلال وشرعي.

٤-تعدد الزوجات في المجتمع الغربي يكون غير محدد ومحصور بعدد معين من النساء ، أمّا في المجتمع الإسلامي فيكون مقتصرًا على أربع نساء لا يزيد عن ذلك.

٥-مبدأ التعدد في الإسلام يكون مقتصرًا على تعدد الزوجات من النساء ، في حين أنّه في المجتمع الغربي يشمل الجنسين ، فهناك تعدد الزوجات وهناك تعدد الأزواج في آن واحد ، فكما أنَّ الرجل تكون عنده عدد من الخليلات يعاشرهنّ ويجامعهنّ ، فكذلك المرأة لها عدد من الأخلاء تعاشرهم على حد سواء معاشرة المرأة لزوجها.

٦-مبدأ التعدد في المجتمع الإسلامي يجري وفق نظام فلا يحصل به تشرد الزوجات وضياع حقوقهنّ وحقوق أولادهنّ ، أمَّا تعدد الزوجات في المجتمع الغربي يجري بغير نظام ؛ مما يترتب على ذلك تشرد الزوجات وضياع حقوقهنّ وحقوق أولادهنّ ، حتى إنَّ الأولاد يولدون ولا يعرفون من هو أبوهم ولا يجدون من يرعاهم.

ذلك أنّ هذا التعدد يحصل بصفة سرّية لا علنية ، فلا يُلزِم صاحبه بالاعتراف بزوجاته وأولاده ، هذه هي الحقيقة ، حتى إنَّ أحد الكتاب الغربيين تحدّى أبناء جنسه من أن يكون أحدهم وعلى فراش الموت يدلي باعترافاته للكاهن ، تحداهم جميعًا أن يكون فيهم شخص واحد يستطيع أن يبرئ نفسه من الاتصال غير الشرعي بغير زوجته ، فهم جميعًا يعترفون للأب الديني على فراش الموت بأنَّه كان عنده في الأقل خليلة ، عدا زوجته يعاشرها معاشرة زوجته.

والغربيون الذين يتحدثون عن قضية تعدد الزوجات في الإسلام يغمضون أعينهم عما يحدث في مجتمعاتهم ، فقد شاعت في الغرب نوادي تبادل الزوجات ، فتأتي الزوجة مع زوجها إلى هذا النادي فيعطي الرجال كل منهم زوجته للآخر ويعاشرها معاشرة جنسية.

وانتشر في الغرب أيضًا ما يُسمّى بالزواج الجماعي ، وهو أن يسكن عدد من الشبان خمسة أو أكثر مع زوجاتهم في منزل واحد ، ويتبادلون الزوجات في ذلك المنزل فيعاشر كل من هؤلاء الشبان جميع الزوجات معاشرة جنسية ، أمّا الأولاد فينسب كل مولود يأتي من الزوجة إلى زوجها وإن لم يكن في حقيقة الأمر منه ، وهذا النوع من الزواج قد انتشر في السويد.

وهذه النوادي وهذه المنازل مباحة في الدول الغربية ، بل لها حصانة باسم الحرية، فالغربيون لا يتحدثون عن هذه القذارة الخلقية في بلادهم لكن يصبون جام غضبهم على الإسلام لأنَّه لم يحرم تعدد الزوجات.

فهناك طائفة من الأسباب الخاصة والعامة التي لاحظها الإسلام وهو يشرع لا لجيل خاص من الناس ولا لزمن معين محدد ، وإنّما يشرِّع للناس جميعًا وإلى قيام الساعة ، فمراعاة الزمان والمكان لها اعتبارها ، وتقدير ظروف الأفراد لا بدّ من أن يحسب لها حسابًا.

ولقد كان لهذا التشريع والأخذ به في العالم الإسلامي فضل كبير في بقائه دينا نقيًّا بعيدًا عن الرذائل الاجتماعية ، والنقائص الخلقية التي فشت في المجتمعات التي لا تؤمن بتعدد الزوجات ولا تعترف به.

وقد لوحظ في المجتمعات التي تُحرِّم تعدد الزوجات شيوع الفسق وانتشار الفجور حتى زاد عدد البغايا ، أي : اللواتي يحترفن الزنى ، عن عدد المتزوجات في بعض المدن الأوربية.

يقول الكاتب الإنكليزي برترا ندرسل: إنّ نظام الزواج بامرأة واحدة فقط وتطبيقه تطبيقًا صارما قائم على توقع أنّ عدد النساء مساوٍ لعدد الرجال ، وما دامت الحالة ليست كذلك فإن بقاءه قسوة بالغة لأولئك اللائي يبقين عانسات بلا زواج.

بل ينساق أكثرهن إلى امتهان الزنى ؛ فيكثر الأولاد غير الشرعيين الذين لا يعرفون آباءهم ؛ فتضيع أنسابهم وتتخلى عنهم أمّهاتهم ، حتى ذكرت

التقارير الرسمية في أمريكا مثلًا ، أنَّ مؤسسات الدولة ضاقت ذرعًا بأولاد الزنى لكثرتهم ، وراحت تنفق ملايين الدولارات من أجل رعايتهم ، كما تصيب كثيرًا من هؤلاء الأولاد الضائعين الكآبةُ ، والأمراض النفسية والانحراف عن الطريق السويّ ، مما يزيد الدولة ضعفًا من الناحية الاقتصادية والصحية والاجتماعية ، لذلك أشاد الرحالة الألماني : بول أشميد ، بنظام تعدد الزوجات ، وعدَّه عنصرًا مُهمًّا من عناصر القوة التي يمتلكها العالم الإسلامي ويفتقدها العالم الأوربي ، وهذا ما تضمنه كتابه : الإسلام قوة الغد ، الذي أصدره سنة ١٩٣٦م .

فهذا هو تشريع البشر أين هو من تشريع الله.؟! وصدق قول الله تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) {لمائدة: ٥٠ }

تحريم الزنى : حرَّم القرآن الكريم الزنى ، والاتصالات الجنسية غير الشرعية ، قال الله تعالى : (وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً){الإسراء ٣٢} والزنى ، كما هو معروف ، يؤدي إلى الإصابة بأمراض جنسية مختلفة ، وأكثرها أمراض معدية ، التي منها ، مرض الزهري ، والسيلان ، والإيدز ، وكثير من الناس يصابون بهذه الأمراض ، وهم بريئون من ارتكاب الزنى ، إذ تنتقل إليهم عن طريق العدوى ، وكم مرة شاهدتُ من خلال القنوات الفضائية حالات من هذا القبيل ، فقد اشتكت نساء هنديات إلى الأطباء المختصين ، عن إصابتهن بمرض الإيدز، مع أنهنَّ لا يمارسن الجنس إلّا مع أزواجهنَّ ، فتأتيهم الإجابة أنَّ هذا المرض انتقل إليهنَّ بالعدوى ، عن طريق أزواجهنَّ المصابين بهذا المرض ، الذين يمارسون الاتصالات الجنسية غير الشرعية ، وكم مرة شاهدتُ أطفالًا يولدون ، وهم مصابون بالإيدز ، انتقل إليهم هذا المرض عن طريق أمّهاتهم ، حتى إنّي أسمع المذيع يقول متحسرًا : ما ذنب هؤلاء الأطفال الأبرياء ؟!

وقد استمعتُ وشاهدتُ ليلة ٤ رمضان ١٤٢٨هـ =١٦/٩/٢٠٠٧م إلى ندوة دينية من قناة العقارية– دبي ، وكانت الندوة تتضمن حوارًا مع الدكتور محمود أحمد الزين، أحد الباحثين الإسلاميين وكانت حلقة الندوة تدور حول أوجه الإعجاز في القران الكريم ، فبعد أن سُئل عن الإعجاز الغيبي والعلمي ، سُئل عن الإعجاز التشريعي ، فتكلم عن هذا الوجه من الإعجاز ، ثم طلب منه أن يأتي بمثل أو شاهد واحد عليه ، فأجاب : أنَّه من المواضيع التي كان قد قرأها وتناقلتها الكتب والصحف في الستينات أو السبعينات من القرن العشرين ، أنَّ طالبة أمريكية كانت تحضر لنيل شهادة جامعية في موضوع طبي يتعلق بالأمراض النسائية الخطرة والمعدية ، فطلب منها المشرف أن تبحث عن هذه الأمراض في مستشفى من مستشفيات أمريكا ، تستمر لمدة ثلاثة أشهر ، فاختار أحد المستشفيات الأمريكية ودرست هذه الحالة فيه بصفة عملية ، توصلت في نهايتها إلى التأكيد على وجود هذه الأمراض وشيوعها بين النساء المريضات في هذا المستشفى ، وتوصلت إلى أنَّ السبب الرئيس في انتشار هذه الأمراض بينهنّ هو شيوع الزنى ، والاتصالات الجنسية غير الشرعية ، ثم طلب منها بعد ذلك إجراء مثل هذه الدراسة ولمدة ثلاثة أشهر أيضًا في جنيف ، في أحد مستشفياتها أي: في مكان آخر بعيد عن أمريكا ، فكانت النتائج التي توصلت إليها في جنيف ، هي نفس النتائج التي توصلت إليها في أمريكا ، مطابقة لها تمامًا.

ثم طلب منها المشرف بعد ذلك أن تدرس هذه الحالة في بلد ثالث يختلف فيه النظام والمجتمع بصفة أساسية عن أمريكا وجنيف ، فطلب منها أن تقوم بهذه الدراسة في جَدّة ، في أحد مستشفياتها ، فاعتذرتْ ، بأنَّ القانون السعودي لا يسمح لها بدخول جَدّة إذا لم تكن مُحجّبة ، فطلب منها أن تتحجب ، فذكرتْ أنَّه لمَّا طلب منها ذلك ، اشمأزت من الحجاب أيّما اشمئزاز ، فألَحَّ عليها أن تفعل ذلك من أجل العلم ، قالت فامتثلتُ لأمره ، إرضاء لمشرفي

وخدمة للعلم والمعرفة ، ومن أجل الحصول على الشهادة ، قالت : فجئتُ إلى جَدَّة وأنا محجبة حجابًا إسلاميًّا برغم أنفي ، فشرعتُ أدرس موضوع بحثي في أحد مستشفياتها ، فبحثتُ عن الأمراض النسائية الخطرة المعدية فلم أجد هذه الأمراض التي وجدتها منتشرة في أمريكا وجنيف ، فأخبرتُ مشرفي بهذه النتيجة ، فطلب مني إعادة الدراسة لمدة ثلاثة أشهر أُخَر ، فأعدتُها فكانت النتائج نفسها ، ثم طلب مني أن أعيد الدراسة للمرة الثالثة ، فقضيت شهرًا واحدًا منها وتركتُ أن أكمل الشهرين بعد أن تأكد لي أنَّ مثل هذه الأمراض النسائية الخطرة والمعدية لا وجود لها في السعودية البتة ، قالت : وقبل إنهاء عملي جرى حوار بيني وبين ممرضة سعودية محجبة كانت تعرف التكلم بالانكليزية فسألتها : ما السر في عدم انتشار هذه الأمراض بين النساء عندكم ؟ فأجابتني بأنَّ الإسلام قد شرّع من التعاليم والقوانين ما يحفظ المرأة هنا من السقوط في هذا الشر المستطير المتفشي في بلادكم ، وهذا الحجاب الذي ترينه أنا ملتزمة به ، هو أحد هذه التعاليم والقوانين التي حفظت المرأة المسلمة من الأمراض التي تريدين أن تبحثي عنها في هذه البلاد ، قالت: فعند ذلك تغيرتْ وجهة نظري عن الحجاب ، فبعد أن كنتُ أشمئزّ من أن أسمع به ، أصبحتُ أحبّه وأتوق إليه مما حدا بي إلى أن أعلن إسلامي وأتحجّب كما أمر القرآن ، بل بالغتُ فيه ، فأصبحت أستر حتى وجهي ، وأنا أطوف به وفي شوارع نيويورك نفسها

لا عجب أن يكون التشريع الذي جاء به القرآن الكريم يمثل أحد أوجه الإعجاز، وكيف لا؟ وهذا القرآن ما أنزله الله إلا ليكون كتاب هداية وتشريع للناس كافة في كل زمان ومكان ، وهو الأصلح لهم حتى قيام الساعة ؛ لأنه تشريع منزَّل ممن خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه وما لا يصلحه.

الإعجاز العلمي

المعجزة الأساسية للقران الكريم هي لغته ، بلاغته وفصاحته ، وقد أنزله الله ليكون دستورًا للأمة لا ليكون كتاب علم ، إلّا أنَّ عددًا من آياته تطرقت إلى قضايا علمية فلكية أو إنسانية أو حيوانية أو طبيعية ، وهي إشارات وظفها القرآن الكريم لخدمة الدين والإيمان لا للتعليم ، إلّا أنَّ هذه الإشارات لما دُرِسَتْ في الوقت الحالي تبين أنَّها موافقة ومطابقة لأحدث الحقائق العلمية ، وهذا ما سُمِّي بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، وقد كثرت أمثلة هذا الموضوع حتى تشعبت مواضيعه . .

ومن الجدير ذكره في هذا الباب أنَّ كل الآيات التي يتعلق تفسيرها بحقائق علمية لم يتعرّف إليها العلماء إلّا حديثًا ، قد التبس تفسيرها على المفسرين القدامى على وسع علمهم ، ، ليس لجهلهم ، فقد كانوا في وقتهم من أوسع الناس علمًا ودراية ورواية ، ولكن تاهوا في تأويلها واختلفوا ؛ لأنَّ هذه الآيات كان فهمها على الوجه الصحيح منوطًا بمعرفة قضايا علمية لم تكن معروفة في زمانهم ، في كل دول الدنيا وحضاراتها آنذاك ، وقد أدرك الناس تفسيرها فيما بعد ، وقد قال سبحانه : (وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ){ص : ٨٨} ، وفيما يأتي نماذج من هذا الإعجاز .

حقيقة الجبال : كان يُظنُّ أنّ الجبال قائمة على سطح الأرض، إلّا أنّه اكتُشف حديثًا أنّ لكل جبل جذرًا قد يمتد تحت الأرض حتى يبلغ طوله ضعفى ارتفاع الجبل ، فيكون شأنها شأن الوتد ، وهذا ما قال به القرآن الكريم ، قال الله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا {٦}وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) [النبا:٦-٧].

اهتزاز التربة بالمطر: اكتشف العلماء في سنة ١٨٢٧م أن حبيبات الطين ، وهي صغيرة جدًّا لا ترى بالعين ، تتركب من صحائف معدنية بعضها فوق بعض ، فإذا نزل المطر عليها شحن الأرض بشحنات كهربائية ، وهذه الشحنات الكهربائية تختلف بسبب تركيب المعادن في الحبيبات فتربو ، أي:

يكبـر حجمهـا، فتصـبح كـل حبيبـة مخزنًـا للمـاء ، فتمـد النبـات بالمـاء ، لمـدة شـهرين أو أكثر .

هـذا الـذي لـم يُكتشـف إلّا فـي القرن التاسـع عشـر ، أشـارت إليـه الآيـة القرآنية في قوله تعالى : (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) [الحج:٥].

هل كـان محمـد ﷺ يعلـم بهـذه الحقـائق؟ بـل كـان النـاس فـي زمانـه لا يعلمون بهذا ، إنّه الوحي الذي نزل على قلب محمد ﷺ .

الحواجز المائية : قال الله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ {١٩}بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ) [الرحمن:١٩-٢٠] وقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) [الفرقان:٥٣].

نقـل الطبـري المتـوفى ٣١٠هـ أقـوال مَـن سـبقوه مـن مفسـري الصـحابة والتـابعين ، فعـن ابـن عبـاس ، والحسـن ، وقتـادة ، قـالوا : البـرزخ : اليـبس والأرض بينهمـا ، يعنـون مـثلًا أنَّ المـراد بـالبحرين ، البحـر الأحمـر ، والبحـر الأبـيض المتوسـط ، والبـرزخ : هـو الأرض الفاصـلة بينهمـا ، التـي مـن ضـمنها أرض مصـر ، أو أنَّ المـراد بـالبحرين ، بحـر العـرب ، وبحـر الـروم ، كمـا كانـا يسميان في عهدهم ، والبرزخ : هو الأرض التـي بينهمـا ، التـي تشمل اليوم عدة مدن ودول ، وهذا التفسير بعيد جدًّا عن الحقيقة ، لذلك استبعده الطبري ، فقال : ((لأنَّ الله أخبـر فـي أول الأمـر أنّـه مـرج البحـرين ، والمـرج : هـو الخلـط فـي كـلام العرب ... فلو كان البرزخ الذي بين العذب الفرات من البحرين ، والملـح الأجاج أرضًـا ، أو يبسًـا لم يكن هنـاك مرج للبحـرين ، وقد أخبـر ، جل ثنـاؤه ، أنَّـه مرجهمـا ... وإنَّمـا عرفنـا قدرتـه بحجزه هذا الملـح الأجـاج ، عن إفسـاد هذا العذب الفرات ، مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه ، فأمَّا إذا كان كل واحد

منهما في حيِّز عن حيِّز (أي : بينهما حاجز من أرض) فليس هناك مرج ، ولا هناك من الأعجوبة ما ينَبَّه عليه أهل الجهل))

فقد توصل الطبري ، ومن معه ، إلى هذه الحقيقة العامَّة ، إلّا أنَّهم لم يعرفوا جميعًا حقيقة هذا الحاجز ، حتى نقل الطبري عن مجاهد ، قال : ((بينهما حاجز من الله ، وقال : حاجز لا نراه ، ولا يراه أحد)) .

هذا الحاجز الرباني الذي رجحه الطبري ، وقال عنه أستاذه : إنَّه لا نراه ، قد رآه بعينيه بعد أكثر من عشرة قرون ، البحارة الفرنسي ، جاكستو

اكتشف العلماء في منتصف القرن العشرين أنَّ ثمة حواجز مائية تفصل بين البحار ، من ذلك الحاجز المائي الذي يفصل بين مياه البحر المتوسط ومياه المحيط الأطلسي ، فقد اكتشف البحار الفرنسي المشهور جاكستو الطاعن في السنّ الذي قضى أكثر حياته يطوف في البحار ، اكتشف أنّ مياه البحر المتوسط تختلف عن مياه المحيط الأطلسي وفي المنطقة نفسها التي يلتقيان فيها من حيث تراكيب النبات والأسماك التي تعيش في كل منهما ، فأراد أن يعرف السرّ ، فظل يبحث عنه حتى توصل إلى أنَّ هناك تيارًا مائيًّا يمتد من الضفة إلى الضفة يمنع أن تتسرب مياه المحيط إلى مياه البحر ، ومياه البحر إلى مياه المحيط ، وعدَّ ما تعرّف إليه بأنَّه اكتشاف جديد وإنجاز علمي عظيم لم يتوصل إليه أحد من قبل ، وقصَّ هذا البحار الفرنسي ، صاحب الأفلام التلفزيونية عن البحار ، جاكستو ، نبأ هذا الاكتشاف لصديقه الدكتور موريس بوكاي ، فأخبره بوكاي أنَّ هذا الذي اكتشفه قد ذكره القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا ، وهذا ما ذكره الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتابه : دينكم دين الحق ، حيث التقى بالدكتور والمفكر الفرنسي الكبير ، موريس بوكاي ، وأخبره بهذه القصة .

وقد قرأتُ في إحدى مجلات التربية الإسلامية مقالًا عن هذه القصة ذُكر فيها بأنَّ هذا البحار الفرنسي أراد التثبت مما سمعه من صديقه ، فاستعار

مصحفًا مترجمًا باللغة الفرنسية ، فوجد حقيقة ما سمعه من صديقه في قول الله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ {١٩}بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ) [الرحمن:١٩-٢٠] وعندها أيقن أنَّ هذا القرآن لا يمكن أن يكون من تأليف محمد ﷺ الذي لم ير البحر في حياته ، فأعلن إسلامه .

وقد اكتشف العلماء أيضًا أنَّ هناك حواجز مائية في مناطق أُخَر من الكرة الأرضية تفصل ما بين المياه المالحة والمياه العذبة فتمنع أن يختلط بعضهما ببعض، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا) [الفرقان:٥٣].

الظلمات الثلاث : قال الله تعالى: (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) [الزمر:٦].

ذكر المفسرون القدامى أنّ الظلمات الثلاث هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، إلّا أنَّ علم التشريح حديثًا أثبت أنَّ جدار الرحم مركب من ثلاثة أغشية ، وأثبت أنَّ كل غشاء منها برغم دقّته ورقّته لا ينفذ منه الماء ولا الهواء ولا حتى الحرارة والضوء ، حتى إنَّه لو تقنع إنسان بأحد هذه الأغشية لوجد نفسه في ظلام دامس ؛ لذلك وصفها الله تعالى بأنَّها ظلمات ثلاث ، وقد تعرّف الأطباء إلى هذه الأغشية وميزوا بعضها من بعض ، وجعلوا لكل منها اسمًا ، وهي:

١-غشاء السلي أو الأمنيون ، وهذا الغشاء يحيط مباشرة بالجنين وفيه سائل وله فوائد كثيرة للجنين منها : أنّه يسهل حركته ، ويحميه من الصدمات الخارجية ، وهو مصدر غذاء للجنين ، ويحتفظ له بدرجة حرارة ثابتة تقريبا.

٢-غشاء الكوريون، وهو غشاء المشيمة.

٣-غشاء الساقط ، وهو غشاء الرحم الذي يسقط بعد الولادة والإجهاض، وسمي بالساقط ؛ لأنَّ الرحم يسقطه مع الأغشية.

وقد يسأل سائل : لِمَ ذكر القرآن الكريم أنَّ الإنسان يتمّ خلقه ، وهو جنين ، في ظلمات ؟

أوصل لي أحد الأخوة ، جزاه الله خيرًا ، عن طريق الإنترنت هذه المعلومة : قام فريق الأبحاث الذي يجري تجاربه على إنتاج ما يسمى بأطفال الأنابيب ، بعدة تجارب فاشلة في البداية ، واستمر فشلهم لفترة طويلة ، قبل أن يهتدي أحدثهم ويطلب منهم إجراء التجارب في جو مظلم ظلمة تامة ، فقد كانت نتائج التجارب السابقة تنتج أطفالًا مشوهين ، ولمّا أخذوا برأيه ، وأخذوا يجرون تجاربهم في مكان مظلم شديد الظلمة تكللت تجاربهم هذه بالنجاح ، بخروج أطفال الأنابيب أسوياء ، ولو كانوا يعلمون شيئًا من القرآن لاهتدوا بأنفسهم ووفروا على أنفسهم التجارب .

من علَّم قبل ١٤٠٠ سنة محمدًا صلى الله عليه وسلم بأنَّ غلاف الرحم مؤلف من ثلاثة أغشية مظلمة ؟ ومن علَّمه هذا السرّ في تكوين الإنسان ، بأنَّه لا يتم إلّا إذا كانت مراحل خلقه الأولى في ظلام دامس ؟ من علَّمه ، صلى الله عليه وسلم ، هذه المعلومة التي لم يعلم بها علماء الطب المختصون إلّا في هذه الأيام ؟! لو لم يكن هذا القرآن من عند الله العالم بكل ما خلق ؟!

الرجل لا المرأة مسؤول عن نوع المولود : عندما يتصّل الرجل بزوجته يقذف ماءه في رحمها (المني) وتبلغ الحيوانات المنوية التي تحتوي عليها نطفة الرجل ما بين ٢٠٠مليون إلى ٣٠٠مليون حيوان منوي ، وفيها نوعان من الكروموسومات يرمز لأحدهما **(y)** وللآخر **(x)** ، أما البويضة العائدة للمرأة فإنَّها تحتوي على كروموسوم واحد دائما هو **(x)** فإذا التحمت نطفة **(y)** من الرجل مع بويضة الأنثى **(x)** كان المولود إبنًا بإذن الله تعالى **(xy)** ، أما إذا التحمت **(x)** من نطفة الرجل مع البويضة **(x)** كان المولود أنثى باذن الله تعالى ، فالذي يحدد نوع الجنس إذن هو الذكر وليس الأنثى ؛ ولهذا قال سبحانه : (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى . مِن نُّطْفَةٍ إِذَا

تُمْنَى) [النجم:٤٥-٤٦] وقال تعالى: (فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) فقال جعل منه ، أي : من الرجل ، ولم يقل : وجعل منها أو وجعل منهما ، وهذه القضية لم يعرفها الإنسان إلّا بعد اكتشاف المجاهر المكبرة، المايكروسكوب الإلكتروني، فالعلماء لم يكونوا يعرفون أنَّ المسؤول عن تحديد نوع الجنين ، ذكرًا أم أنثى ، هو مني الرجل وحده ، وقد عرفوا هذا في أوائل القرن العشرين بعد تقدم الإنسان في مجال الطب وتطور وسائل العلم فيه ، والقرآن الكريم قد صرّح بذكر هذه الحقيقة بوضوح قبل أربعة عشر قرنًا.

فمن علم محمدًا صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة العلمية التي لم يعلمها العلماء إلّا بعد ألف وأربعمئة عام؟!

القرآن الكريم وعلم الأجنّة : قال الله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ {١٢} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ {١٣} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ {١٤})[المؤمنون :١٢-١٤]

أثبت علم الأجنة هذه المراحل ، وصحتها ، وتطابقها مع المراحل المذكورة في القرآن الكريم ، وهذه المراحل سبع ، وهي :

١-أصل الإنسان (سلالة من طين) .

٢-النطفة.

٣-العلقة .

٤-المضغة .

٥-العظام .

٦-الإكساء باللحم .

٧-النشأة .

قال الدكتور زغلول النجار في كتابه : الذين هدى الله ((دُعيتُ لحضور مؤتمر عُقد للإعجاز في موسكو ، فكرهتُ في بادئ الأمر أن أحضره

؛ لأنَّه يُعقد في بلد كانت هي عاصمة الكفر والإلحاد لأكثر من سبعين سنة ... فقيل لي : لا بد من الذهاب ؛ فإنَّ الدعوة وُجهتْ إلينا من قبل الأكاديمية الطبية الروسية ، فذهبنا إلى موسكو ، وفي أثناء عرض بعض الآيات الكونية ، وبالتحديد عند قول الله تعالى : (يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ){السجدة : ٥}

وقف أحد العلماء المسلمين وقال : إذا كانت ألف سنة تساوي قدرين من الزمان غير متكافئين ، دلّ ذلك على اختلاف السرعة ، ثمَّ بدأ يحسب هذه السرعة فقال : ألف سنة ، لا بد وأن تكون ألف سنة قمرية ؛ لأنَّ العرب لم يكونوا يعرفون السنة الشمسية ، والسنة القمرية اثنا عشر شهرًا قمريًّا ، ومدة الشهر القمري ، هي مدار القمر حول الأرض ، وهذا المدار محسوب بدقة ، وهو ٢،٤ بليون كم ، فقال : ٢،٤ مضروب في ١٢ ، وهو عدد شهور السنة ، ثم في ألف سنة ، ثم يُقسَّم هذا الناتج على أربع وعشرين ، وهو عدد ساعات اليوم ، ثم على ستين ، الدقائق ، ثم على ستين ، الثواني ، فتوصل هذا الرجل إلى سرعة أعلى من سرعة الضوء(والسرعة في الكون كما اكتشفها آينشتاين ، وأصبحت حقيقة كونية تعادل سرعة الضوء ، وهذا يعني أنَّ مدار الفلك الذي يقطعه القمر في ألف سنة يقطعه الضوء في يوم واحد ، لذلك قال سبحانه (يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الأرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ){السجدة : ٥}) فوقف أستاذ في الفيزياء ، وهو عضو في الأكاديمية الروسية ، وهو يقول : لقد كنتُ أظنُّ أنني قبل هذا المؤتمر من المبرزين في علم الفيزياء ، وفي علم الضوء بالذات ، فإذا بعلم أكبر من علمي بكثير ، ولا أستطيع أن أعتذر عن تقصيري في معرفة هذا العلم ، إلّا أن أعلن أمامكم جميعًا أنِّي أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنَّ محمدًا رسول الله ، ثم تبعه في ذلك أربعة من المترجمين الذين ما تحدثنا معهم على الإطلاق ، وإنَّما كانوا قابعين

في غرفهم الزجاجية ، يترجمون الحديث من العربية إلى الروسية ، والعكس ، فجاؤونا يشهدون أن لا إله إلّا الله ، وأنَّ محمدًا رسول الله .

ليس هذا فحسب ، وإنَّما علمنا بعد ذلك أنَّ التلفاز الروسي قد سجَّل هذه الحلقات ، وأذاعها كاملة ، فبلغنا أنَّ أكثر من ٣٧ عالمًا من أشهر العلماء الروس ، قد أسلموا بمجرد مشاهدة هذه الحلقات .

ليس هذا فحسب ، وإنَّما كان معنا أيضًا كيث مور ، وهو من أشهر العلماء في علم الأجنة ، ويعرفه تقريبًا كلّ أطباء العالم ، فهو له كتاب يُدرس في معظم كليات الطب في العالم ، وقد تُرجم هذا الكتاب لأكثر من ٢٥ لغة ، فهو صاحب الكتاب المشهور **(the Developing Human)** فوقف هذا الرجل في وسط ذلك الجمع قائلًا : إنَّ التعبيرات القرآنية عن مراحل تكوُّن الجنين في الإنسان ، لتبلغ الدقَّة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث ، وهذا إن دلَّ على شيء ، فإنَّما يدل على أنَّ هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلّا كلام الله ، وأنَّ محمدًا رسول الله ، فقيل له : هل أنت مسلم ؟! قال : لا ، ولكني أشهد أنَّ القرآن كلام الله ، وأنَّ محمدًا مُرسل من عند الله ، فقيل له : إذن فأنت مسلم ، قال : أنا تحت ضغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن ؛ ولكن لا تتعجبوا إذا سمعتم يومًا أنَّ كيث مور ، قد دخل الإسلام ، وقد وصَلَنا في العام الماضي أنَّه قد أعلن إسلامه فعلًا ، فلله الحمد والمنَّة))

ولكيث مور شهادة مصورة على الإعجاز العلمي في القرآن ، تجدها في الإنترنت ، على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (شهادات علماء الغرب)

أعصاب الإحساس : كان الناس من قبل يعتقدون بأنَّ جسم الإنسان كلّه حساس أينما ضربته يتألم حتى تقدم علم التشريح فوجدوا أنَّ الأعصاب الحسّية تتركز في الجلد فحسب ، بدلالة أنَّك لو جئتَ بإبرة ووضعتها في جسم الإنسان ، فإنَّها بعد أن تتجاوز الجلد إلى اللحم لا يتألّم ، وهذا هو السرّ في

تبديل جلود الكافرين كلّما بليت في النار ليستمرّ عذابهم ويزداد ، كما قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) [النساء:٥٦].

يقول الشيخ الزنداني في أحد أشرطته : ((بدأتْ صلتنا بالبروفيسور عالم التشريح التايلندي تاجاتات تاجاسون عندما عرضنا عليه بعض الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية المتصلة بمجال تخصصه في علم التشريح ... عندئذٍ قدمنا له محاضرة كان قد أعدَّها البروفيسور كيث مور ، أستاذ علم التشريح بجامعة تورنتو بكندا ، وعنوانها : مطابقة علم الأجنة لِما في القرآن الكريم والسنة ، وسألناه : هل تعرف البروفيسور مور؟ أجاب : بالطبع إنَّه من كبار العلماء المشهورين في هذا التخصص ، وهو مرجع عالمي ، وإنِّي لمندهش مما سجله هنا في هذه المحاضرة .

ثم سألناه : عددًا من الأسئلة في مجال تخصصه ، كان من بينها ذلك السؤال المتعلق بالجلد ، سألناه : هل هناك مرحلة ينعدم عندها الإحساس بألم الحرق ؟ أجاب : نعم إذا كان الحرق عميقًا ، ودمَّر عضو الإحساس بالألم ، سألناه : حسنًا ما رأيك إذن بالقرآن الكريم عند نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم ، قبل أكثر من ألف وأربعة عام ، قد أشار إلى تلك الحقيقة العلمية ، عندما ذكر الطريقة التي سيعاقب الله بها الكافرين يوم القيامة حيث يقول ، سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) [النساء:٥٦].

أجاب البروفيسور التايلندي : هذا أمر يدعو إلى الدهشة والغرابة حقيقة ، فتلك معرفة مبكرة جدًّا عن مراكز الإحساس والأعصاب قي الجلد ، ولا أدري كيف ذكر قرآنكم هذا ؟! ... ففي ذلك الوقت لم تكن هناك معارف بشرية حول هذا الموضوع ، من أين إذن عرف ذلك ؟! المؤكد عندي هو استحالة المصدر البشري ، ولكني أسألكم أنتم : من أين تلقَّى محمد صلى الله عليه وسلم ، هذه

المعلومات الدقيقة ، فأجبناه : من عند الله ، فسألنا : الله ! ومن هو الله ؟ وبعد أن شرحنا له المفهوم الإسلامي للفظ الجلالة (الله) راقته تلك الرؤية ، وعاد إلى بلاده ؛ ليحاضر عن هذه الظاهرة القرآنية ، التي عايشها ، وتأثَّر بها ، حتى جاء موعد المؤتمر الطبي السعودي الثامن ، واستمع في الصالة الكبرى التي خُصصتْ للإعجاز على مدى أربعة أيام ، لكثير من العلماء ، وكان أكثرهم من غير المسلمين ، يحاضرون عن ظاهرة الإعحاز العلمي في القرآن الكريم ، وفي ختام جلسات المؤتمر ، وقف البروفيسور : تاجاتات تاجاسون ... يقول : إنِّي أؤمن أنَّ كلّ ما ذكره القرآن يمكن التدليل على صحته بالوسائل العلمية ، وحيث إنَّ محمدًا نبيّ الإسلام كان أمِّيًا ، إذن لا بدّ أنَّه قد تلقَّى معلومات عن طريق وحْيٍ من خالق عليم بكل شيء ؛ وإنني أعتقد أنَّه حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنَّ محمدًا رسول الله))

وهذه الشهادة لهذا العالم تجدها مصورة ، على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة (شهادات علماء الغرب)

بصمات الأصابع : قال الله تعالى في سورة القيامة : (لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ {١} وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ {٢} أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ {٣} بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ {٤})

نقل الطبري في تفسيره أقوال من سبقوه من المفسرين ، فعن ابن عباس ، رضي الله عنهما قال : المعنى : لو شاء الله ، سبحانه ، لجعل بنان أصابع الإنسان خُفًّا كخُفّ البعير ، أو حافرًا كحافر الحمار ، وهذا هو قول مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، وقال غيرهم : المعنى : لو شاء الله لجمعهنَّ ، فاتقيتَ الأرض بفيك ، ولكنَّ الله سواك خلقًا حسنًا .

وهذا التفسير لا يلائم المعنى المراد ، والمفهوم من سياق الآية ، إذ ليس المقصود أنَّ الله قادر على تشويه خلقة الإنسان ، وإنَّما المقصود أنَّ الله قادر على إعادة الإنسان كاملًا يوم القيامة ، بعد أن يصير ترابًا وعظامًا نخرة

ومبعثرة ؛ لأنَّ الآية كانت ردًا على المشركين الذين كانوا ينكرون أن يرجع الإنسان بعد مماته حيًا وكامل الأعضاء ، فردَّ الله عليهم بأنَّه ، سبحانه ، قادر أن يعيد الإنسان بعد موته حيًا وبكل أعضائه نفسها ، حتى رسم بنانه الذي يتميز به من كل إنسان غيره ؛ ولهذا نرى المفسرين المتأخرين ، كأنّما استدركوا على المفسرين القدامى ، قالوا بل المعنى : ((نقدر على أن نسوي بنانه كما كانت ، وإن صغرت عظامها ، ومن قدر على جمع صغار العظام ، كان على جمع كبارها أقدر))

وهذا ما جاء في زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧هـ

إنّ الخطوط والرسوم التي جعلها الله في أصابع كلّ إنسان ، لا تتشابه بين إنسان وإنسان فلكلِّ إنسان بصمات أصابع خاصّة تميزه من غيره حتى من أخيه التوأم ، فلم يوجد إنسانان تشابها في رسوم أصابعهما ومنذ أن خلق الله آدم حتى يومنا هذا ، ولهذا قال الله تعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ {٣} بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ) [القيامة:٣-٤].

وهذه الحقيقة التي ذكرها القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي لم يكتشفها الطب الشرعي إلّا في القرن التاسع عشر، وقد استعانت دوائر مكافحة الإجرام ببصمات الأصابع في التعرف إلى المتهمين، وتمييزهم من غيرهم .

والبنان في اللغة : أطراف الأصابع من اليدين والرجلين ، وتفسير الآية عند القدامى: زعم المشركون والكفار أنّ الله لا يبعث الموتى ، ولا يقدر على جمع العظام فقال الله تعالى : بلى قادرين على أن نعيد السلاميات على صغرها ، ونؤلف بينها حتى تستوي، ومن قدر على جمع العظام الصغيرة فهو على جمع الكبار منها أقدر

والمفسرون القدامى لم يكن بين أيديهم من وسائل طبية توصلهم إلى ما اكتشفه علماء التشريح بعد ذلك بقرون

ففـــي عـــام ١٨٢٣م اكتشـــف عـــالم التشـــريح التشـــيكي بركنجـــي **purhinj** حقيقة البصمات، ووجد أن الخطوط الدقيقة في رؤوس الأصابع (البنـان) تختلـف مـن شـخص لآخـر ، ووجـد ثلاثـة أنـواع مـن هـذه الخطـوط : أقواس أو دوائـر أو عقد ، أو علـى شكل رابـع يـدعى المركبـات ، لتركيبهـا مـن أشكال متعددة.

وفي عام ١٨٥٨م، أي: بعد (٣٥) سنة. أشار العالم الإنكليزي وليم هرشل **William Hershel** إلى اختلاف البصمات باختلاف أصـحابها ، ممـا جعلهـا دلـيلًا مميـزًا لكـل شـخص ، وفـي عـام ١٨٧٧م اختـرع الدكتور **Hermry faulds** طريقة وضع البصمة على الورق باستخدام حبر المطابع.

وفي عام ١٨٩٢م أثبت الدكتور فرانسيسي غالتون **frangis calton** أن صورة البصمة لأي أصبع تعيش مع صاحبها طوال حياته فلا تتغير برغم كل الطوارئ التي قد تصيبه ، وقد وجد العلماء أنّ إحدى المومياه المصرية المحنطة احتفظت ببصماتها واضحة جلية.

واثبت جالتون أنَّه لا يوجد شخصان في العالم كلّه لهما نفس التعرجات الدقيقة ، وقد أكد أن هذه التعرجات تظهر علـى أصـابع الجنين، وهو فـي بطن أمه عندما يكون عمره ما بين ١٠٠و ١٢٠يوما .

وفي عام ١٨٩٣م أسس مفوض اسكتلنديار أدوارد هنري **Edward hinry** نظامًا سـهلًا لتصـنيف البصـمات بوصـفها دلـيلًا قويًّـا فـي دوائـر الشرطة في إسكتلنديار، كما جاء في الموسوعة البريطانية

ثم أخذ العلماء منذ اكتشاف البصمات بإجراء دراسات علـى أعداد كبيرة من النـاس من مختلف الأجنـاس ، فلـم يعثر علـى مجموعتين متطـابقتين قط ، حتى أصبحت بصمات الأصابع الوسيلة المثلى لتحديد هوية الأشخاص.

ولقد حدث أنَّ عددًا من المجرمين بمدينة شيكاغو الأمريكية ظنوا أنّهم قادرون على تغيير بصماتهم ، فقاموا بنزع جلود أصابعهم واستبدلوا بها قطعًا لحمية جديدة من مواضع أخرى من أجسامهم ، إلّا أنَّهم أُصيبوا بخيبة الأمل عندما اكتشفوا أنَّ قطع الجلد المزروعة قد نمت واكتسبت نفس البصمات الخاصة بكل شخص منهم.

ولفظ (البنان) في اللغة ، وكما وردت في الآية الكريمة تطلق على رؤوس أصابع اليد والقدم ، وهذا ما اكتشفه علماء التشريح .

ولهذا فلا غرابة أن يكون البنان أحد آيات الله تعالى التي وضع فيها أسرار خلقه والتي تشهد على الشخص من دون أن يلتبس بشخص آخر في تشكيل هذه الخطوط على مسافة ضيقة لا تتجاوز بضعة سنتمترات مربعة.

وقد قرأتُ عن أستاذ مصري أنَّه حين كان في ألمانيا ، رأى أستاذًا كبيرًا من جنس ألماني يصلي معه الصلوات ، قال: فسألتُه مَن دعاك إلى الإسلام؟ فقال: لا أحد ، فقلت : فما الذي إذن جعلك تُسلم؟ قال: قوله تعالى: (بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ) ذلك أنَّه أيقن بعد أن قرأ تفسيرها عن طريق الترجمة ، أنَّه لا يمكن أن يكون هذا القرآن من تأليف محمد ﷺ بل هو بالتأكيد من كلام الله.

وقد اكتشف علماء التشريح مثل هذه البصمات في جبين الجنين ، ففي أثناء تصويرهم للجنين في رحم أُمِّه ، شاهدوا كتابة منقوشة بدقة بارعة على جبين الجنين ، إنَّها شعيرات دقيقة مرسومة بمهارة كبيرة ، وكذلك اكتشفوا أنَّه لا يوجد اثنان على ظهر الأرض تتشابه فيهم هذه الرسوم ، حتى ولو كانا توأمين ، وهذه النقوش العجيبة ، بل قل هذه الكتابة الدقيقة تبدأ ترتسم على جبين الجنين في الشهر الثالث من عمره ويكتمل في نهايته ، ثم تبدأ تختفي بالتدرج تحت نمو الجلد ونمو طبقة دهنية فوقها ، حتى لا يبدو منها شيء بعد ولادته.

أليست هذه النقوش التي كُتبت بمهارة عجيبة ، هي التي أشار إليها الحديث النبوي الصحيح ، ففي صحيح مسلم (باب القدر) : عن زيد بن وهب بن عبد الله ، قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق : إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أُمِّه أربعين يومًا ، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمَر بأربع كلمات: رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)) شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/٤٢٩ .

سرّ رؤى المنام : قرأتُ في مجلة التربية الإسلامية في الثمانيات من القرن الماضي مقالاً منقولًا من مجلات أماراتية وقطرية ، أنَّه انعقد مؤتمر في القاهرة سنة ١٩٨٥م تحت شعار: الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، ضمّ علماء مسلمين وغير مسلمين ، وكان من البحوث التي أُلقيت في هذا المؤتمر بحث لعالم بريطاني كبير، وهو البروفيسور آرثر أليسون ، رئيس قسم الهندسة الكهربائية ، والإلكترونية بجامعة لندن ، ومما ذكره في بحثه أنَّه بقي عشرين عامًا يدرس حالة النوم عند الإنسان ، وأراد أن يفسّر قضية رؤاه وأحلامه في المنام ، فتوصّل في نهاية دراسته إلى أنَّ الإنسان عند نومه يخرج منه شيء أساسي ، وأنَّ هذا الشيء لا يعود إليه إلّا عند استيقاظه ، وأنَّه هو السرّ الذي يجعل النائم يرى نفسه تسرح في أماكن بعيدة عن موضع سريره الراقد عليه ، وأنَّه من دون عودة هذا الشيء إليه لا يحصل حالة استيقاظ ، فيكون حاله شبيهة بالموت .

وكان لهذا العالم البريطاني صديق مصري ، فعرض عليه ما توصّل إليه فأخبره ، أنَّ هذا مذكور في القرآن الكريم ، وهو قول الله تعالى: (اللَّـهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ){الزمر : ٤٢}

والمعنى أنّ الله يتوفّى الإنسان في حالة الموت وفي حالة النوم ، إلّا أنَّه في حالة النوم إذا أمسك الله ما خرج منه لا يستيقظ ، ويكون قد قضى أجله ، أمَّا إذا أرسل ما خرج منه في أثناء نومه وأعاده إليه استيقظ ، وكأنه أحياه بعد موت ؛ ليعيش إلى أجل مُسمّى .

فحين ترجم له صديقه المصري معنى هذه الآية أيقن أنَّ هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلّا من خالق الإنسان ، وفي الليلة الختامية للمؤتمر ، وأمام مراسلي وكالات الأنباء العالمية ، وعلى شاشات التلفزيون ، وقف البروفيسور آرثر أليسون ؛ أمام الجميع وأعلن إسلامه وقال بصوت جهوري عالٍ : إنِّي أيقنتُ أنَّ هذا القرآن حق ، وأنَّه من عند الله ، وأنَّ محمدًا رسول الله ، فنطق بالشهادتين وأعلن إسلامه ، وعندها ضجت قاعة المؤتمر بالتكبير، وانهمرت دموع المؤتمرين والحاضرين من المسلمين يبكون من شدة الفرح .

وبعد أن أعلن إسلامه غيَّر اسمه ، من : آرثر أليسون ، إلى : عبد الله أليسون ، واستضافه شيخ الأزهر وأهداه عددًا من الكتب الإسلامية ، وتعهّد أنَّه حين يعود إلى بلده سيعمل على نشر الإسلام هناك ، وقد وجدتُ مثل هذه المعلومات فيما بعد في كتاب اطلعت عليه حديثًا بعنوان : علماء ومشاهير أسلموا .

وهذه القضية لم تذكر في القرآن فحسب ، بل صرحتْ بها السنة النبوية ، فمن الأدعية المشهورة أنَّ الرسول ﷺ كان يقول عند استيقاظه من نومه : الحمد الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور ، ومن الأدعية المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام. ، أن يقول المسلم إذا استيقظ صباحًا : الحمد لله الذي رد إلي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره

وقد أدرك علماء المسلمين القدامى هذه الحقيقة ، فقد ذكر مثلًا أبو حامد الغزالي أنّ للإنسان روحين، روحًا إنسانية ، وروحًا بهيمية ، وأنَّ الإنسان عند نومه تصعد روحه الإنسانية التي لا تحتاج لتعيش وتحيا إلى الأكل

والشرب والتنفس ، وتبقى الروح البهيمية التي تحتاج إلى ذلك، ، ومنهم من ذكر أنَّ الإنسان ثلاثة أقسام : جسد وروح ونفس ، وأنَّ الإنسان إذا نام صعدت روحه ، وبقيت نفسه وجسده .

وقد توصل المسلمون إلى هذه الحقيقة قبل مئات السنين من استقرائهم لآيات الله وسنة نبيه ﷺ قبل أن يتوصل إليها العلم في القرن العشرين.

بيت العنكبوت : يتميز الإسلام من بين سائر الأديان السماوية والمبادئ الأرضية بأنَّه دين التوحيد وكلّ ما عداه هو دين الإشراك ومذهب الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، وقد نعتَ الله هذه الأديان وهذه المذاهب جميعها بقوله تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّـهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [العنكبوت: ٤١] فسّر ابن كثير هذه الآية بقوله: ((فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه... فإنَّه لا يجدي عنه شيئًا... وهذا بخلاف المؤمن المسلم قلبه لله... فإنَّه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها)) فقد فسر القدامى بيت العنكبوت بأنَّه الخيوط التي تصنعها التي تبدو دقيقة وواهية جدًّا .

أمَّا علماء علم سلوك الحيوان في العصر الحديث فقد اكتشفوا أنَّ الفولاذ وأيّ معدن آخر من المعادن الصلبة لو جعل خيوطًا دقيقة بدقة خيوط العنكبوت لكانت خيوط العنكبوت أقوى من خيوط هذا المعدن الصلب أربع مرات ، إذن لا يمكن أن يكون المقصود من الوهن الخيوط التي تصنعها العنكبوت ، واكتشفوا أيضًا أنَّ أنثى العنكبوت هي التي تتخذ البيت باستدراج الذكر واستدعائه إليها لذلك قال سبحانه : (كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) ولم يقل سبحانه : كمثل العنكبوت اتخذ بيتًا ، واكتشفوا أيضًا أنَّ أنثى العنكبوت إذا تزوجت الذكر لدغته بعد أن يلقحها فتخدره بهذه اللدغة فتميته مع بقاء الروح والحياة فيه ، فتخدره ولا تقتله من أجل أن يبقى طعامًا طازجًا لا يفسد إلى حين يولد صغارها فيتغذون عليه لحمًا طريًّا ؛ لأنَّهم لا يجدون وقت ولادتهم طعامًا

سواه ، وقد تأكل الأنثى صغارها ، أو قد تفترس الذكر بعد التلقيح ، فإذا جاء صغارها أكل بعضهم بعضًا

في ضوء هذه الحقائق العلمية الحديثة يتبين أنَّ المقصود من البيت في الآيـة هـو بيـت الـزواج وتكـوين الأسـرة ، لا بيـت الخيـوط ؛ والـدليل علـى أنّ المقصـود مـن الآيـة ذلـك انتهاؤها بقولـه تعـالى : (لَـوْ كَـانُوا يَعْلَمُونَ) لأنَّ النـاس وقـت نـزول القـران كـانوا لا يعلمـون هـذه الحقـائق عـن بيـت العنكبـوت وأحـوال أسرتها ، وهذا من معجزات القران الكريم ، فيكون التفسير الحديث الصحيح أنَّ المراد بالوهن في الآية الوهن الاجتماعي ، لا الوهن المادي ، فإن بيتًا تقتل فيه الزوجة زوجها ، أو تفترس أولادها ، والأولاد يأكلون آباءهم ، أو يأكل بعضـهم بعضًا ، لهو حقًّا أوهن بيت وأسرة من الناحية الاجتماعية ، فالمعنى : أنَّ كلّ جماعة ، أو أُمَّة تتخذ وليًّا لها من دون الله ؛ وتتخذ لها دينًا غير دينه وشرعًا غير شرعه ، فإنَّ هذه الجماعة وهذه الأمَّة يكون حالها كحال بيت العنكبوت يأكل بعضهم بعضًا .

تركيب جسم النملة : قال الله تعالى: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ {١٧} حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ 18 }فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا) [النمل:١٧-١٩]

ذكر القرآن الكريم (نملة) بلفظ المؤنث والسرّ في ذلك أنَّه ثبت علميًّا أنَّ النملة الأنثى العقيمة هي التي تقوم بأعباء المملكة من جمع الطعام ورعاية الصغار والدفاع عن المملكة وتخرج من الخلية للعمل ، أمَّا الذكور فلا دور لهم في هذه الأمور ، إذ لا يظهرون إلّا في فترة التلقيح ، وأثبت العلم الحديث أنَّ جزءًا كبيرًا من جسم النملة مركب من مادة زجاجية، ولهذا ورد لفظ (لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ).

توسع الكون : في عام ١٩٢٩م شاهد عالم الفلك الأمريكي : إدوين هابل بوساطة التلسكوب أنّ المجرات تتباعد عن بعضها بسرعات هائلة ، إنَّ حركة التباعد والمجرات ناتجة عن توسع الفضاء (الكون) وامتداده ، وفي هذا العام أكد العالمان الفلكيان: همسن وهابل نظرية توسُّع الكون بالمشاهدة ؛ حيث وضع هابل القاعدة المعروفة باسمه ، وهي قانون تزايد بعد المجرات ، وقد استدعى هابل إينشتين من ألمانيا إلى أمريكا ليريه تباعد المجرات والكواكب بوساطة التلسكوب.

وما اكتشفه هذان العالمان الفلكيان في القرن العشرين من الميلاد ذكره القران الكريم في القرن السابع من الميلاد. قال الله تعالى: (وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) [الذاريات:٤٧] ووجه الإعجاز في الآية الكريمة هو دلالة لفظ (لموسعون) الذي يفيد الماضي والحاضر والمستقبل ، والمعنى : إنَّا مستمرون في توسيع الكون وهذا ما كشفت عنه المشاهدات الفلكية وبوساطة المراصد الحديثة .

إنزال الحديد من السماء : كشف علماء الجيولوجيا أن ٣٥% من مكونات الأرض من الحديد ، وثبت عندهم أنَّ أصل الحديد من مخلفات الشهب والنيازك التي تتساقط من الفضاء الخارجي على الأرض ، حيث تتساقط على الأرض في كل سنة آلاف النيازك التي قد يزن بعضها عشرات الأطنان ، وقد تم اكتشاف بعضها في استراليا وأمريكا ، وهذا يعني أنّ الحديد لم يكن من قبل في الأرض ، بل قد تم إنزاله من السماء، ولم يدرك العلماء هذه الحقيقة إلا حديثًا ، وقد سبقهم في ذلك القرآن. قال الله تعالى: (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) [الحديد:٢٥].

السماوات والأرض أصلهما واحد : أثبت العلم الحديث أنَّ الأرض والشمس والقمر والنجوم كانت جميعها كتلة واحدة، جرمًا واحدًا كبيرًا، ثم أصابه انفجار هائل فنشأ منه بعد انفجاره سحاب كبير، سماه علماء الفلك بالسديم ،

ونشأت من هذا السديم : النجوم والمجرات. وهذا ما قال به القرآن، قال الله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) [الأنبياء:٣٠].وقال تعالى: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ).

إصابة الإنسان بضيق الصدر في أعالي الجو : قال الله تعالى: (فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء) [الأنعام: ٢٥].

فسّر الطبري ، وغيره من المفسرين القدامى ، أنَّ هذا مثل ضربه الله ، شبَّه امتناع قلب الكافر من الدخول في هدى الإسلام ، بامتناع الإنسان من الصعود إلى السماء لعجزه عن ذلك .

وهذا عكس المراد من الآية ، لأنَّه مثل ضربه الله للذي يصعد إلى السماء ، لا للذي لا يصعد إليها ، ففي الآية تشبيه الضيق الذي يحسّ به المرء ، جرّاء ابتعاده عن هدى الله ، بالضيق الذي يحسّ به المرء ، وهو يصعد إلى أعالي الجو ، وقد جهل المفسرون القدامى تفسير هذه الآية ؛ لأنَّ تفسيرها يتعلق بحالة لم يمرّ بها الناس وقتئذ ، وهي حالة صعود الإنسان ، وما يصيبه من ضيق التنفس إذا استمرّ في صعوده .

عندما قام الإنسان أول مرة بتجربة إنزال المظليين من الطائرات بوساطة المظلات شعر المظليون بضيق صدورهم وصعوبة تنفسهم في بداية هبوطهم من أعالي الجو ، فقصّوا بعد نزولهم شعورهم بهذه الحالة لمن يعنيهم الأمر، وسألوا عن السبب فجاءهم الجواب من أهل العلم ، بأنَّ سبب الضيق متأت من أنَّ نسبة الأوكسجين تقلُّ كلما صعدنا في السماء وارتفعنا عن الأرض ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ كثافة الهواء تقل مما يؤدي إلى حدوث خلل بين الضغط الجوي وضغط الإنسان ، فلهذا السبب وذاك يضيق صدر الإنسان ، ويثقل تنفسه ، حتى يصل به الحال إلى الاختناق والموت إذا

استمرَّ في صعوده ، ولم يعرف الإنسان هذه الحقيقة إلّا حديثًا وبعد أن تقدم في مجال العلم وصنع الطائرات ، في حين أنَّ هذه الحقيقة قد صرّح بها من قبلُ القرآن الكريم ، فقد قال الله تعالى: (فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء) [الأنعام: ٢٥].

فالله سبحانه في هذه الآية بيَّن لنا أنَّ الإنسان يضيق صدره معنويًّا عند ابتعاده عن هدى الله ، وشبَّه هذا الضيق بالضيق الذي يصيب الإنسان في صدره ونفسه حين يصعد إلى السماء .

وثمة أربع صيغ يمكن أن يُعبَّر بها عن الصعود ، وهي : يصعد ويتصاعد ويتصعَّد، ويصَّعَّد ، ومن الواضح أن أصعب هذه الصيغ نطقًا (يَصَّعَّد) لوجود حرفين فيها مضاعفين ، واختار القرآن الكريم من هذه الصيغ أصعبها تلفظًا ، لتعبّر عن الصعوبة التي تصيب المرء في حالة من حالات الضيق الجسدي والمعنوي .

وعندما ترجمت هذه الآية إلى (يوشيدي كوزان) مدير مرصد طوكيو باليابان ، دهش بها كثيرًا ، وراح يستمع إلى ترجمة عدد من الآيات التي تتعلق بالإعجاز العلمي للقران ، مما حدا به إلى أن يقول: ((إن المتحدث بالقرآن يعلم كل شيء وبكل دقة وتفصيل)) ونحن نقول له : لا يكون هذا المتحدث إلّا الله .

في السماء شموس وأقمار : من حقائق هذا الكون المعروفة أنّ شمسنا ليست الشمس الوحيدة في الكون ، بل هناك الملايين من الشموس ، منها ما هو بحجم شمسنا أو أصغر قليلًا أو أكبر منها بكثير ، وكذلك أصبح من المعلوم أنّ القمر الذي ينير دروبنا ليلًا ليس هو القمر الوحيد ، بل قد رصد العلماء ٥٨ قمرًا تدور في مجموعتنا الشمسية فحسب ، إذ يدور حول كوكب المشتري ١٦ قمرًا ، وحول زحل مثل هذا العدد من الأقمار، ويدور حول المريخ

قمران ، وحول أورانواس (١٥) قمرًا ، وحول نبتون (٨) أقمار. وحول بلوتو قمر واحد ، هذا فضلًا عن الأقمار التي لا بدّ أن تكون موجودة في غير مجموعتنا الشمسية ، هذا ما رصده علماء الفلك حديثًا ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك ، بقوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) [فصلت:٣٧].

فلم يقل سبحانه (الذي خلقهما) ، بل قال (الذي خلقهنَّ) للدلالة على الجمع ، على أن هناك شموسًا غير شمسنا وأقمارًا غير قمرنا

المشارق والمغارب : أظهر علم الفلك حديثًا أنّ الأرض تكمل دورتها في ٣٦٥ يومًا وربع يوم ، وهذا مما جعل شروق الشمس ومغربها ينحرف قليلًا كل يوم ، من حيث المكان والزمان ، فيكون هناك مشارق ومغارب بعدد أيام السنة ، وأظهر العلم أيضًا أنَّ الأرض كروية وتدور حول نفسها ، وهذه الحالة تجعل الشمس : إن تشرق في بلد فإنَّها في نفس الوقت تغرب في بلد آخر ، وإنّها إن أشرقت في البلد الآخر تكون قد غربت في البلد الأول ، فكل بلدين متقابلين في موضعيهما من الكرة الأرضية يتبادلان الشروق والغروب في نفس اللحظة ، فإن كان في هذا البلد شروق كان في البلد الذي يقابله غروب والعكس بالعكس ، فيكون هناك شروقان وغروبان ، كما أنّ البُلدان التي تقع بعضها خلف بعض يتوالى فيها الشروق والغروب ، ففي كل ساعة تشرق الشمس في بلد وتغرب في آخر، مما يعني أنَّ للشمس مشارق متعددة ومغارب متعددة ، وهذه الحقائق العلمية الفلكية قد أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى : (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) [الرحمن:١٧]. وفي قوله تعالى: (فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ) {المعارج:٤٠].

كروية الأرض : ذكر علماء الفلك أنّ من الدلائل الحسية والمشاهدة على أنّ الأرض كروية أنّ مَن يقف على ساحل البحر ، وأراد أن ينتظر سفينة

قادمة إليه ، فإنّه أول ما يرى منها أعلاها وشراعها ، ثم تتدرج بالظهور ، حتى يراها كاملة عند اقترابها منه ؛ لأنّ المكان الذي يبعد عنك بضعة كيلو مترات يكون بالقياس إلى المكان الذي أنت فيه أسفل وأعمق منك ، وتزداد نسبة عمقه كلما ازداد بعده ؛ لهذا قال سبحانه : (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ){الحج : ٢٧} فعبَّر عن شدة بعد أوطان الزائرين عن بيت الله الحرام الذي جاؤوا لزيارته والحج فيه بالعمق ؛ لأنَّ الشيء البعيد جدًّا عنك يكون في عمق وأسفل منك ؛ لكون الأرض كروية ، وهذا من أعجاز القرآن الكريم في هذا المجال ، فيكون للأرض ثلاث حركات :

الأولى : دورانها حول نفسها ؛ فيتكون منه الليل والنهار .

الثانية : دورانها حول الشمس ؛ فتتكون منه الفصول الأربعة .

سيرها مع الشمس حيثما سارت .

عدم ثبوت الشمس : ظلّ علماء الفلك يعتقدون وإلى عهد قريب بأنَّ الشمس ثابتة ، وأنَّ الأرض تدور حولها حتى تأكدوا أخيرًا بأنَّ الشمس ليست ثابتة ، وعُدَّ ذلك من أهم ما اكتشفه علماء الفلك حديثًا ، في حين أنَّ القرآن الكريم كان قد أخبرنا قبل أربعة عشر قرنًا بأنَّ الشمس تجري ، قال الله تعالى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) [يس:٣٨]

ولم يقل الله تعالى: (تسير)، بل قال : (تجري) والجري هو السير السريع وهذا ما انتهى إليه علماء الفلك أخيرًا بأنَّ الشمس تسير في الفضاء بسرعة ٢٢٠كم في الثانية ، أي بسرعة ٧٤١،٥٠٠كم في الساعة.

كرويــة الأرض ودورانهــا حــول نفســها : ثمة آيات قرآنية لا يمكن تفسيرها إلاَّ على أساس أنَّ الأرض كروية ، وأنَّها تدور حول نفسها كقول الله تعالى:(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) [الفجر:٤] وقوله تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) [النمل:٨٨].

ذكر المفسرون القدامى أنَّ قوله تعالى: (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) يعني سيرها يوم القيامة ، قالوا ذلك لأنَّهم كانوا يعيشون في زمان لم يكن أهله يعلمون ما نعلمه اليوم بعد تقدم الإنسان في مجالات العلم كافة ، فقد تبيّن اليوم لعلماء الفلك أنَّ الأرض التي نحسبها جامدة ساكنة لا تتحرك ، تتحرك، ومعها الجبال بسرعة ١٦٦٩كم في الساعة حول نفسها ، وبسرعة ٥٣٦٢٤كم في الساعة حول الشمس .

والدليل على أنّ المقصود بقوله تعالى: (تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) حركة الجبال حاليًّا وليس يوم القيامة ما يأتي :

١-إنَّ القرآن الكريم قال: (تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) والجبال يوم القيامة نحسُّ بسيرها بكل جوارحنا ، فالمقصود إذن سيرها حاليًّا ؛ لأنَّنا لا نشعر بسيرها مع أنَّها تسير .

٢-إنَّ سير الجبال يوم القيامة يكون شديدًا ومذهلًا حتى لشدة سرعتها تتناثر صخورها وتتفتتْ حتى تكون خفيفة الوزن كالصوف ، كما أخبر بذلك القرآن الكريم ، قال الله تعالى عن سير الجبال يوم القيامة: (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ) [القارعة: ٥] أي: الصوف المنفوش ؛ بل لشدة سرعتها تتلاشى ، كما قال تعالى: (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) [النبأ: ٢٠] والسراب: الخيال

في حين أنّ قوله تعالى : (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) يعني سيرها بهدوء حتى شبّه القرآن الكريم سير الجبال بسير الغمام ، وهذا ما ينطبق على سيرها حاليًّا.

٣-انتهاء الآية بقوله تعالى: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) الإتقان في اللغة : إحكام الشيء ، يعني أنَّه ، سبحانه ، جعل الجبال تسير حاليًّا بانتظام ، بسرعة ثابتة لا تزيد ولا تنقص ، وفي فلك محدد معين ، وهنا يتجلى إتقان الصنعة ، أمَّا سيرها يوم القيامة فقد أخبر القرآن الكريم بأنَّها تسير

سيرًا جنونيًّا ، لا ضبط فيه ولا نظام ، حتى لشدة سرعتها وهول حركتها وانتقالها من سرعة تكون فيها كالصوف المنفوش إلى سرعة تتحول فيها إلى سراب ، يصبح الناس الذين يرونها في حالة من الفزع الرهيب ، ففي يوم القيامة يختل النظام ولاختلاله يحدث ما يحدث مما يجعل الناس سكارى وما هم بسكارى ، فلا ينطبق على هذه الحالة وصف حركة الجبال المضطربة هذا الاضطراب بالإتقان ، بل القيامة لا تقوم إلا بعد أن ينزع الله من نظام الكون هذا الإتقان ، فانتهاء الآية بقوله تعالى ، (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) يناسب سير الجبال حاليًّا لانتظام سيرها ، وليس سيرها يوم القيامة الذي يختل فيه التوازن

انشقاق القمر : في مقابلة تلفزيونية مع عالم الجيولوجيا الأستاذ الدكتور زغلول النجار سأله مقدم البرنامج عن هذه الآية: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ) [القمر:١] هل فيها إعجاز قرآني علمي؟ فأجاب الدكتور زغلول قائلًا : هذه الآية لها معي قصة ، فمنذ مدة كنت أحاضر في جامعة (كارديف **cardif**) في غرب بريطانيا ، وكان الحضور خليطًا من المسلمين وغير المسلمين ، وكان هناك حوار صريح عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، وفي أثناء هذا الحوار ، وقف شاب من المسلمين : وقال: يا سيدي، هل ترى في قول الحق تبارك وتعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ) لمحة من لمحات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم؟ فأجاب: لا، لأنَّ الإعجاز العلمي يفسره العلم ، أمَّا المعجزات فلا يستطيع العلم أن يفسرها ونحن نصدقها لورودها في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله ﷺ ولأنَّ الله تعالى قادر على كل شيء.

ثم ساق الدكتور زغلول قصة انشقاق القمر، كما وردت في كتب السنّة فقال : في كتب السنّة أنّ رسول الله ﷺ قبل أن يهاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بخمس سنوات ، جاء نفر من قريش وقالوا له : يا محمد، إن كنتَ حقا نبيًّا ورسولًا فأْتنا بمعجزة تشهد لك بالنبوة والرسالة؟ فسألهم ماذا

تريدون؟ قالوا: شُقَّ لنا القمر، قالوا له ذلك ، على سبيل التعجيز والتحدي، بل على سبيل الاستهزاء ، وأنَّه لا يستطيع الإتيان بهذه المعجزة.

فوقف المصطفى ﷺ يدعو ربه أن ينصره في هذا الموقف فألهمه ربه ، تبارك وتعالى ، أن يشير بأصبعه الشريف إلى القمر ، وهو بدر ، ينير الناس في ليلة مظلمة ، والناس من قريش حوله ، فدعا ﷺ أن ينشق القمر ، فانشق القمر إلى فلقتين ، تباعدتا عن بعضهما ، لعدة ساعات ثم التحمتا ، فقال الكفار : سحرنا محمد ، لكن بعض العقلاء ، من بينهم أبو جهل نفسه ، قالوا: إنَّ السحر قد يؤثر على الذين حضروه ، لكنه لا يستطيع أن يؤثر على كل الناس ، فانتظروا الركبان القادمين من السفر ، فسارع الكفار إلى مخارج مكة ينتظرون القادمين من السفر ، فحين قدم أول ركب ، سألهم الكفار، هل رأيتم شيئًا غريبًا حدث لهذا القمر؟ قالوا: نعم ، في الليلة الفلانية رأينا القمر قد انشق إلى فلقتين تباعدتا عن بعضها ثم التحمتا ، فآمن منهم من آمن، وكفر من كفر، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز، (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ {١} وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ {٢}وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ) [القمر:١-٣].

يقول الدكتور زغلول. فبعد أن أتممتُ حديثي ، وقف شاب مسلم بريطاني عرَّف بنفسه قال: أنا داود موسى بيتكوك، رئيس الحزب الإسلامي البريطاني ، ثم قال: يا سيدي ، هل تسمح لي بإضافة؟ قلتُ له تفضّلْ ، فقال: كنت قبل إسلامي ، أبحثُ عن الأديان ، وقد أهداني أحد الطلاب المسلمين ترجمة لمعاني القرآن الكريم ، فشكرته وأخذتها إلى البيت ، وحين فتحتُ هذه الترجمة ، كانت أول سورة أطلع عليها سورة القمر وقرأتُ : (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ) ، فقلتُ : هل يعقل هذا الكلام؟ هل يمكن للقمر أن ينشق ثم يلتحم؟! وأيّ قوة تستطيع عمل ذلك ، قال : فصدَّتني هذه الآية عن مواصلة القراءة .

واشتغلتُ بأمور الحياة ، ولكن الله سبحانه يعلم شدة إخلاصي في البحث عن الحقيقة ، فأجلسني ربي يومًا أمام التلفزيون البريطاني ، وكان هناك حوار يدور بين مذيع ، معلق بريطاني، يدعى: جيمس بيرك ، كان يجري حوارًا على شاشة التلفزيون البريطاني **BB . C** في برنامج عن رحلات الفضاء الأمريكية ، وكان ذلك سنة ١٩٧٨م ، وكان يجري هذا الحوار مع ثلاثة من علماء الفلك الأمريكيين ، ومجموعة من العلماء البريطانيين ، فراح هذا المذيع المعلِّق ينتقد بشدة الإسراف على رحلات الفضاء وإنفاق ملايين الدولارات ، والأرض يتضوَّر فيها ملايين البشر من الجوع والمرض والجهل والتخلّف ، وفي أثناء هذا الحوار جاء ذكر أول رحلة إنزال رجل على سطح القمر سنة ١٩٦٩م ، وقد كلفت أكثر من مئة مليار دولار ، فصاح المذيع البريطاني ، وقال: أي سفه هذا؟! مئة ألف مليون دولار لكي تضعوا العلم الأمريكي على سطح القمر؟

صاح وصاح معه العلماء البريطانيون : أأنفقتم كل هذه المليارات حتى وصلتم إلى القمر؟ ما الذي جئتم به؟ هل جئتم إلاَّ بأحجار؟! هل قيمتها تساوي المليارات التي أنفقتموها؟! فخشي العلماء الأمريكان من تشويه سمعتهم أمام جمهورهم في أمريكا وفي أوربا ، فقالوا : لا ، نحن لم نصعد من أجل هذا ، بل من أجل أن نحقق في ظاهرة أذهلتنا ، فقد كنّا ندرس التركيب الداخلي للقمر، فوجدنا حقيقة لو أنفقنا أضعاف هذا المال لإقناع الناس بها ما صدقنا أحد ، فقال لهم : ما هذه الحقيقة؟ قالوا: هذا القمر انشق في يوم من الأيام ثم التحم ، قال لهم : كيف عرفتم ذلك؟ قالوا : وجدنا حزامًا من الصخور المتحولة تقطع القمر من سطحه إلى جوفه إلى سطحه ، فاستشرنا علماء الأرض وعلماء الجيولوجيا فقالوا : لا يمكن أن يكون هذا قد حدث إلّا إذا كان هذا القمر قد انشق ثم التحم ، والدليل على ذلك أيضًا أنَّ سلاسل الجبال التي كانت ملتحمة

بعضـها ببعض ، لمَّا عـاد الالتحـام حـدث لـها الانزيـاح ، فأصبح نصف هـذا الجبل يلتحم مع نصف الجبل ذاك وبالعكس ، وهكذا جميع الجبال.

يقول بيتكوك : حين سمعتُ ذلك. قفزت من الكرسي التي كنت أجلس عليها أمـام التلفـاز ، وقلـتُ : معجـزة تحـدث لمحمـد قبـل ألـف وأربعمئـة سـنة ويرويهـا القـرآن بهـذا التفصـيل العجيـب ، يسـخِّر الله مـن يثبتهـا للمسـلمين فـي عصر العلوم والتقنية الذي نعيشه ، وينفق هذا المبلغ الكبير لإثبات هذه الحقيقة ، فـلا بـدّ وأن يكـون هـذا الـدين حقًّـا ، فعـدتُ إلـى ترجمـة معـاني القرآن الكـريم أقرؤهـا بشـغف شـديد ، وكانـت آيـات سـورة القمـر هـي السـبب المباشـر لقبـولي الإسلام دينًا لي.

فـالقرآن الكـريم ؛ لصـفاء عقيدتـه ، ولسـمو تشـريعاته ، السياسـية ، والاجتماعيـة ، والاقتصـادية ، ولإعجـازه اللغـوي والعلمـي ، ولأنَّـه كـلام الله ، فقد كان السبب في إسلام كثير من علماء أوربا والعالم ، وقد أُلِّفتْ كتب خاصـة بهم ، تثبـت أسـماءهم ، وجنسـياتهم ، وتـذكر قصـص إسـلامهم ، وأسـبابه ، وتنقـل نصوصًا من أقوالهم ، من هذه الكتب :

١–لماذا أسلمنا ، لعبد الحميد عبد الرحمن السحيباني .

٢–الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء ، لمحمد كامل عبد الصمد .

٣–هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام ، لمحمد عثمان .

٤–لماذا أسلم هؤلاء ، للمستشار محمد عزت الططهطاوي .

٥– الذين هدى الله ، للدكتور زغلول النجار .

٦–المسلمون الجدد ، إعداد محمد إمام ،

٧–رجال ونساء أسلموا ، إعداد وترجمة د– عرفات كامل العشي .

٨–عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام ، لمحمد طماشي .

٩– كيف أسلم هؤلاء ، لمحمد أحمد محمود .

١٠–مشاهير أسلموا ، لعبد الله البلتاجي .

١١-ربحتُ محمدًا ولم أخسر المسيح ، للدكتور عبد الله الدالاتي .

١٢- علماء ومشاهير أسلموا ، لنايف منير فارس .

الإعجاز العلمي في السنة النبوية :

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، لا إله إلّا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، اللهم إنَّا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كلّ برّ والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار ، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلاَّ غفرته ولا همًّا إلاَّ فرجته ولا حاجة هي لك رضًا إلّا قضيتها يا أرحم الراحمين.

قال الله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى {١} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى {٢} وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى {٣} إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى {٤} عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى){النجم : ١-٥}

فهذه الآيات الكريمات تفيد أنَّ علم الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من علم الله ؛ لذلك نجد في السنّة النبوية إعجازًا علميًّا ، كالذي وجدناه في القرآن الكريم ، فيما يأتي نماذج منه :

١-**شرب الماء متقطّعًا** : من السنّة أن يشرب المسلم الماء متقطعًا ومن السنّة أن يشرب وهو جالس : يقول الدكتور إبراهيم الراوي : عندما يقوم الإنسان بشرب الماء دفعة واحدة تتسكب كمية كبيرة من الماء في فراغ المعدة محدثة اصطدامًا عنيفًا في جدران المعدة بصفة مفاجئة بسبب حدوث انعكاسات عصبية شديدة في شبكة الأعصاب التابعة للعصب الحائر المسيطر على عضلة القلب ، حيث إنَّ هذا العصب له تأثيرات خطرة على إيقاف عضلة القلب ومنعها من الحركة في حالات تعرضه للتنبيه العصبي ، وقد سجل الطب الحديث في الكتب العلمية حالات مرضية عديدة حدث فيها الموت الفجائي نتيجة تنبيه العصب بوساطة شرب الماء دفعة واحدة ، وبخاصة عندما يكون

الإنسان واقفًا حيث إنَّ هذا الوضع يجعل المعدة تتعرض للصدمات العنيفة القاسية التي يولدها الماء المنساب إلى المعدة بقوة ، وقد أطلق الطب الحديث على هذه الحوادث الغريبة التي تسبب الموت المفاجئ اصطلاح (النهي العصبي).

إلّا أنّ الإنسان إذا شرب الماء دفعات متقطعة ، فإنَّ ذلك يؤدي إلى تنبيه شبكة الأعصاب برفق وهدوء تدريجيًا بعيدًا عن القسوة والعنف دون إحداث ضرر يذكر.

وهناك أمر آخر فيما يتعلق بشرب الماء دفعة واحدة هو عدم الإحساس بتركيب المشروب إحساسًا كاملاً إلّا بعد الفراغ من شربه وكذلك عدم الإحساس بطعمه ، ولكن عند شربه دفعات متقطعة فإنَّه سيحسّ بتركيب الماء ، أو المشروب في الجرعة الأولى ، وقد شاهدتُ حادثة في مدينة استنبول عام ١٩٦٠م حيث أقبل شاب في الرابعة والعشرين من عمره ، وهو طالب جامعي على شرب قنينة مملوءة بالنفط ظنًّا منه أنَّها قنينة ماء ؛ لأنَّ ماء الشرب في هذه المدينة يباع بالقناني المختومة كما تباع المشروبات عندنا ، وقد حدث لدى الشاب تسمم وإغماء مفاجئ وبعد إسعافه في المستشفى وغسل معدته وزرقه في الوريد عقاقير سائلة لتنبيه عضلة القلب والجهاز التنفسي ، عاد إليه وعيه وهو يدلي بإفادته أنَّه لم يشعر بطعم النفط مطلقًا إلاَّ بعد أن فرغ من شرب جميع ما في القنينة.

فعلماء الطب الحديث يحذرون من الشرب دفعة واحدة وبخاصة إذا كان الإنسان واقفًا فإنَّ الخطر يتضاعف ويزداد احتمالًا ، وقد قال رسول الله ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا: لا تشربوا كما يشرب البعير بل اجعلوه مثنى وثلاث.

٢ –في أحد جناحي الذباب داء وفي الآخر الدواء : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كلّه ، أو ليطرحه ، فإنَّ في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء رواه البخاري

ومسلم/ الفتح٧/ ٤٣٧ ومسلم٧/ ١٣٧ ، وفي رواية أخرى : فليغمسْه ثم لينزعْه ؛ فإنَّ في أحد جناحيه داء والآخر دواء ، وروى الحديث أيضًا سعيد الخدري وأنس بن مالك– رضي الله عنه– بأسانيد صحيحة.

ذكر هذا الحديث قضيتين عن الذباب كلتيهما كانت مجهولة قديمًا : أولاهما : أنَّ الذباب ناقل للداء ، وهذا شيء أصبح الآن معروفًا لدى العلماء أنَّ الذباب ناقل جراثيم ممتاز : وقد كان هذا مجهولًا في زمن النبي ﷺ.

والثانية : أنَّه يحمل مع هذا الداء الدواء وهذا من العلم الذي لم يثبت إلاَّ قبل سنوات قليلة ، فثمة علماء غربيون سويسريون وإنكليز وألمان وغيرهم ، بدؤوا بحوثًا في الذبابة منذ سنة ١٨٧١م حتى سنة ١٩٥٠م فوجدوا أنَّ في جسم الذبابة خلايا تحتوي على مادة لها قابلية شديدة جدًّا على قتل الجراثيم ، حتى إنَّ غرامًا واحدًا منها يكفي لتطهير مقدار من الحليب يملأ أكثر من ألف قنينة من اللبن المتلوث بجراثيم الزحار والتيفوئيد وما شابهما ، ولسائل أن يسأل : لماذا أمر الرسول ﷺ بغمس الذبابة في الإناء قبل رميها خارجه؟

وجواب العلماء اليوم وما فيهم مسلم : إنَّ الذبابة إذا أُغمست أحدثت هذه الحركة ضغطًا داخل الخلية الفطرية التي تحتوي على مادة الدواء الشافي الموجودة مع جسم الذبابة فيزداد توتر البروز والسائل داخلها زيادة تؤدي إلى انفجار الخلايا وخروج المادة القاتلة للجراثيم فتقع على الجراثيم التي تنقلها بأرجلها فتهلكها وتبيدها ويصبح الطعام طاهرًا منها .

٣–**التراب مُطهِّر ومُعقِّم** : روى مسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرّات أولاهنّ بالتراب .

أراد علماء هذا العصر أن يتثبتوا من صحة هذا الحديث فعمدوا إلى إناء ملوَّث بجراثيم لعاب الكلب فجربوا عليه عدة مطهّرات ، فكانوا يجدون الإناء ما يزال فيه أثر من الجراثيم المرضية عند فحصه بعد كلّ عملية من

عمليات تطهيره بالمعقمات الحديثة ، ثم استعملوا أخيرًا تطهيره ودَلْكِه بالتراب ، فلما فحصوه ظهر لهم أنَّ الإناء خلا تمامًا من الجراثيم ولم يبق لها أثر فيه.

٤-**دم النزف غير دم الحيض** : عن عائشة -رضي الله عنها- أنَّ فاطمة بنت أبي حبيش سألتُ النبي ﷺ فقالت : إني أستحاض ، فلا أطهر (يعني تبقى تنزف) أفأدع الصلاة ؟ فقال : ((لا ، إنَّ ذلك دم عرق ، ولكن دعي الصلاة قدر الأيام التي كنتِ تحيضين فيها ثم اغتسلي وصلِّي)).

عند المرأة عادة شهرية يخرج الدم من رحمها وهذا الدم يسمى دم حيض لا تجوز فيه الصلاة ويستمر مدة أسبوع تقريبًا ، وهناك حالات مرضية خاصة تصاب بها بعض النساء وهو خروج الدم باستمرار ، كهذه المرأة التي سألت الرسول ﷺ فقد حسبتْ هذا الدم الذي ينزف منها كله دم حيض ، فقالت له عليه الصلاة والسلام : هل أترك الصلاة دائمًا ؟ فبيَّن لها أنَّ هذا الدم الذي ينزف منها باستمرار ليس كله دم حيض يصدر من الرحم الذي لا تجوز عند نزفه الصلاة ، بل هو نتيجة نزف عرق لا علاقة له بالرحم ، والعلم أثبت أنَّ دم الحيض الذي يخرج من الرحم لا يستغرق أكثر من أسبوع في الأعمِّ الأغلب ، أمَّا الدم الآخر فإنَّه يكون من جراء نزيف يحدث في بعض الأغشية الذي سماه رسول الله ﷺ نزف عرق.

٥-**ما عام بأمطر من عام** : من الأحاديث النبوية: ((ما عام بأمطر من عام)) رواه ابن عساكر ، وقد ثبت عند علماء الطبيعة أنَّ كمية الأمطار التي تهطل على الكرة الأرضية هي بصفة عامة واحدة لا تتغير ، لا تزداد ولا تنقص ؛ ذلك أنَّها إذا ازدادت كميتها في بلد ، قلّتْ في بلد آخر والعكس صحيح.

٦-**اللبن أكمل غذاء** : قال رسول الله ﷺ: من أطعمه الله طعامًا فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منه ، ومن سقاه الله لبنًا فليقل: اللهم بارك لنا

فيه وزدنا منه ، فإنَّه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب إلّا اللبن ، رواه أبو داود والترمذي عن أنس بن عباس.

وقد أجمع علماء الأغذية في العالم غير الإسلامي أنَّ اللبن غذاء كامل تقريبًا ، وأنَّه أكثر المواد الغذائية احتواء على العناصر الضرورية التي يحتاج إليها جسم الإنسان.

٧- **السواك فرشاة الأسنان عند المسلمين** : قال رسول الله ﷺ: لولا أن أشق على أُمَّتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة . رواه احمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه ، وقال رسول الله ﷺ: لولا أن أشق على أُمَّتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء . رواه الإمام مالك والشافعي وغيرهما.

وهناك ما يقرب من عشرين حديثًا رويت في دعوة الرسول ﷺ إلى استعمال السواك وتبيان فضائله.

لقد وجد العلماء فوائد السواك بعد مئات من السنين ، بل قرروا أنَّه لا يوجد حتى اليوم في عالمنا المعاصر معجون يحوي من المواد النافعة ما يحويه السواك.

جاء في مجلة جمعية أطباء الأسنان الأمريكية **ABA** أنَّ أكثر المعاجين المستعملة في الولايات المتحدة الأمريكية ليست طبية وصحية ، وقد قرر أطباء العالم بعد بحوث كثيرة أنَّ السواك فيه مواد فعالة يحملها بين أليافه من مطهرات كالسنجرين ومواد قابضة تقوي اللثة كالعصعص وزيوت عطرية حسنة النكهة تطيب بها رائحة الفم وكلوريد الصوديوم وكلوريد البوتاسيوم وأكسالات الجير ومواد عديدة تجلي وتنظف الأسنان ، كما أنَّ في السواك بعض المواد التي تقتل الجراثيم.

أمَّا الأُستاذ (رودات) وهو مدير معهد علم الجراثيم ، والأوبئة في جامعة ((روستوك)) بألمانيا الديمقراطية (سابقًا) فقد وجد بالسواك مواد مضادة

للعفونـة وقاتلـة للجـراثيم وهـي مجهولـة التركيـب فقـد ورد فـي مجلـة المجلـة ١٩٦١/٤م ما يأتي:

((يقـول العـالم {رودات}: ((قـرأتُ عـن السـواك الـذي يسـتعمله العـرب كفرشاة للأسنان في كتاب لرحّالة أجنبي زار بلاد العرب وعرض الكاتب الأمر بأسلوب ساخر لاذع اتخذه دليلًا على تأخّر هؤلاء الناس الذين ينظفون أسنانهم بقطعة من الخشب في القرن العشرين ، ولكن أخذتُ المسألة من وجهة نظر أُخرى وفكرتُ : لماذا لا يكون وراء هذه القطعة من الخشب ، ودعنـي أسميها فرشاة الأسنان العربيـة ، حقيقة علميـة ؟ وتمنيتُ لـو استطعتُ إجراء التجارب عليها ضمن تجاربي الأُخرى التـي أجريتها علـى غيرها ، ثم حانت الفرصة حينما سافر زميل لـي من العاملين في حقل الجراثيم هو الدكتور (هورن) في بعثة علمية إلى السودان وعاد ومعه مجموعة منها (أي من عيدان السواك) وفورًا بدأتُ إجراء أبحاثي عليها ، فسحقتها وبللتها ووضعت المسحوق المبلل على مزارع الجراثيم فظهرت على المزارع آثار كتلك التي يقوم بها البنسلين ، إنَّ هناك حكمة كبيرة في استعمال العرب للسواك بعد بَلّه بالماء ؛ لأنّ استعماله جافًّا لا ينجح العمل به بما يحويه من مادة مضادة للجراثيم ، ولو استعمل جافًّا فهناك اللعاب الذي يمكنه حلّ هذه المادة)).

أما الدكتور كينيت كيوديل فقد أعلن أنَّ السواك يحتوي على مادة تمنع تسوس الأسنان وقال أمام المؤتمر الثاني والخمسين للجمعية الدولية لأبحاث الأسنان في أتلانتا بأمريكا ، أنَّه لوحظ أنَّ الذين يستعملون السواك يتمتعون بأسنان سليمة ، وأنَّ بعض الشركات في بريطانيا والهند قامت بصنع معاجين تدخل فيها مواد مأخوذة من السواك ، وأنَّ هناك تجارب علمية تجرى في جامعة واشنطن لدراسة الفائدة الطبية للسواك.

فهذه الأحاديث النبوية تزيد المسلمين إيمانًا على إيمانهم ويقينًا بصدق رسالة نبيهم ، وصدق الله العظيم ما قاله عن رسوله الكريم : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى

{١} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى {٢} وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى {٣} إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى {٤}{النجم : ١-٤}

حين عُرج برسول الله ﷺ إلى السماء حتى بلغ السماء السابعة ، فتح الله صدر نبيه محمد ﷺ وأفرغ فيه من علمه ما شاء من علم الأولين والآخِرين ، وأوحى إليه ما أوحى.

وقد أثبت علماء هذا العصر ومن غير المسلمين في معاملهم ومختبراتهم صدق هذا الوحي وصحة العلم الذي أوحاه الله لسيد الرسل وخاتم النبيين ، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك ، إلى أن يطبقوا علم هذا الوحي ، ويأخذوا به في صناعاتهم الحديثة .

٨-**أقسام النجوم في السماء** : دار حوار بين الشيخ الزنداني ، والدكتور فاروق الباز ، وكان حديثًا مثيرًا ، والدكتور فاروق الباز عربي مصري تجنّس بالجنسية الأمريكية ، وقد كان أحد الذين خططوا لصعود الإنسان على سطح القمر ، وشاركوا في تدريب رواد هذه الرحلة الفضائية التاريخية ، سنة ١٩٦٩م ، وهو الآن مدير مركز الأبحاث الفضائية في جامعة بوستن (إحدى الجامعات الأمريكية).

قال الدكتور الباز للشيخ الزنداني : إنَّ أحدث ما اكتشفناه قبل ثلاث سنوات أنَّ النجوم في السماء هي على ثلاثة أقسام رئيسة فيما يتعلق بشدة حرارتها وألوانها : نجوم متوهجة باللون الأحمر ، فهذه أقلها حرارة ، فإذا زادت حرارة هذه النجوم وزادت كثافتها المادية أصبحت بيضاء ، فإذا زادت حرارة هذه النجوم وتكثفت أكثر أصبحت بلون أسود ، حتى إذا ابتلعت الجسم المنير جعلته أسود مثلها ، فأجابه الشيخ الزنداني : إنَّ هذا ما أخبرنا به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ففي حديث رواه الترمذي في سننه ، وابن ماجه ، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (أُوقد على النار ألف سنة حتى احمرَّتْ ، ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى

ابيضَّتْ ، ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى اسودَّتْ ، فهي سوداء كالليل المظلم))
اللهم زدنا إيمانا ويقينا وعملًا بكتابك وسنة نبيك اللهم آمين.
هذا وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الدكتور عبد الجبار فتحي زيدان ١٨/١/٢٠١١م

المصادر والمراجع

- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، حقق أُصوله، الدكتور –عبد الرزاق المهيدي، ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) إدارة الطباعة المنيرية ، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت (د– ت).

- البداية والنهاية ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) اعتنى بهذه الطبعة ووثقها عبد الرحمن اللادقي ، ومحمد غازي بيضون ، الطبعة العاشرة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

-البرهان في توجيه متشابه القرآن ، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت : ٥٠٥هـ) تحقيق عبد القادر عطا ،الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت: ٧٩٤هـ) تحقيق أبي الفضل الدمياطي ، دار الحديث ، القاهرة ،١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م .

-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام الحافظ المؤرخ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد عثمان بن قيماز الذهبي (ت : ٧٨٤هـ)

تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م

-تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ، لأبي علي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، قدم له واعتنى به وخرج أحاديثه رائد بن صبري بن أبي علقة ، بيت الأفكار الدولية (د-ت) .

-الترغيب والترهيب ، من الحديث الشريف ، للإمام الحافظ زكي الدين بن عبد القوي المنذري ، حققه أبو عبد الرحمن المكي ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، الرياض ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

- تفسير الجلالين ، جلال المحلي وجلال الدين السيوطي، مكتبة الملاح للطبع والنشر، دمشق، ١٣٨٩هـ = ١٩٦٩م.

-تفسير القرآن العظيم ، لعماد الدين أبي الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م..

-جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

-الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ) الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٧هـ- ١٩٧٦م.

- درة التأويل وغرة التنزيل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ) ، الطبعة الأولى، دار الأفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ او ٤٧٤هـ)- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ =١٩٧٨م.

-دلائل النبوة ، لأبي نعيم الأصبهاني .

-دلائل النبوة ، للبيهقي .

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل محمود الآلوسي البغدادي (١٢٢٧هـ) ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة القاهرة ١٩٦٧م.

-زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، وضع حواشيه، أحمد شمس الدين ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

-الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، للإمام محمد بن أحمد بن عقيلة المكي (ت : ١١٥٠هـ) الطبعة الأُولى ، جامعة الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .

-سنن أبي داود ، لأبي داود سلمان بن الأشعث السجستاني ، (ت : ٣٧٥هـ) اعتنى به بيت الأفكار الدولية (د-ت) .

-السيرة النبوية لابن هشام (ت : ٢١٣هـ) وضع حواشيه ، وخرج أحاديثه فؤاد بن علي حافظ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي (ت :٦٧٦هـ) المسمى : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، الطبعة الثانية عشرة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-علماء ومشاهير أسلموا ، للأستاذ نايف منير فارس ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١هـ= ٢٠١٠م .

-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي، (د-ت).

-فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) مطبعة البابي الحلبي، مصر ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

- فوائد في مشكل القرآن: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) تحقيق الدكتور سيد رضوان علي الندوي، الطبعة الثالثة، دار الشروق، جدة.

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت:٥٢٨هـ) ، رتبه وضبطه وصححه ، محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

-اللباب في علوم الكتاب ، لأبي جعفر عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

-مجلة التربية الإسلامية ، أعداد منها في الستينات ، والسبعينات ، والتسعينات من القرن الماضي .

- محاولة في أصل اللغات لجان جاك روسو ، ترجمة محمد محجوب ،وتقديم الدكتور عبد السلام المسدي.

-مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، المطبعة البهية ١٣٥٣هـ= ١٩٣٤م – ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م.

-ملاك التأويل ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت:٧٠٨هـ) وضع حواشيه ، عبد الغني محمد علي الفاسي ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .

-الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، من إعداد الدكتور أحمد مصطفى متولي ، الطبعة الأولى ، دار ابن الجوزي ، مصر ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

-الوسيط في تفسير القران المجيد ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

-مصادر أخرى ، سمعية / شخصية ، وإذاعية ، وقنوات فضائية تلفزيونية ، وأقراص مسجلة ، وإنترنت .

المحتويات

السيرة العلمية

-الاسم : عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني .

-محل وتاريخ الولادة : الموصل/١٩٤٧م ، محلة الشفاء ، قرب دورة قاسم الخياط .

-أنهيتُ دراستي الابتدائية ، في المدرسة القحطانية ، سنة ١٩٦٢ .

-أنهيتُ دراستي المتوسطة ، في متوسطة الحرية ، سنة ١٩٦٥م .

-أنهيتُ دراستي الإعدادية ، في الإعدادية المركزية ، القسم العلمي ، سنة ١٩٦٧م

-خريج كلية التربية الملغاة / قسم اللغة العربية /جامعة بغداد ، حصلتُ على شهادة البكالوريوس في هذه الكلية بدرجة جيد جدًّا ، سنة ١٩٧٢م .

-عُيِّنتُ مدرسًا في ثانوية قيّارة في ٩/١٠/١٩٧٣م ، ثم نُقلتُ بعدها إلى متوسطة كَرَمْلِيسْ ، ثم ثانوية قره قوش ، ثم متوسطة المثنى ، فمتوسطة أبي

بكر الصديق ، وبعد حصولي على شهادة الماجستير، تم نقلي إلى معهد إعداد المعلمات سنة ١٩٨٩م .

–حصلتُ على شهادة الماجستير في اللغة العربية ، بدرجة جيد جدًّا عالٍ برسالتي الموسومة (المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي) بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٢٠م جامعة الموصل / كلية الآداب ، بموجب الأمر الجامعي المرقم ٣١٩/١١/٣ في ١٩٨٩/١/٩م

–حصلت على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية ، بدرجة امتياز ، بأطروحتي الموسومة ((ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية) في ١٩٩٧/٨/٢٦م ، بموجب الأمر الجامعي العدد ٢/١١/٣ع٧٢ بتاريخ ١٩٩٧/٩/١٦م

–تم نقل خدماتي إلى وزارة التعليم العالي ، وباشرتُ التدريس بكلية المعلمين في ١٩٩٧/٣/١٩م ، التي هي كلية التربية الأساسية حاليا

–كُلِّفتُ بالخطابة من لدن وزارة الأوقاف ، وكان عدد الجوامع التي صعدتُ فيها على منابرها ، خمسة عشر جامعًا ، وأول خطبة خطبتها كانت في جامع الطالب/حي الرفاعي ، في الأسابيع الأولى من افتتاحه ، سنة ١٩٨٧م ، وأكثر خطبي كانت في جامع يونس النحوي المعروف بجامع شيخ الشط ، وآخرها كانت في جامع العطاش/كوكجلي ، ثم تركتُ المنبر سنة ٢٠٠٠م

–بقيت أعمل تدريسيًّا بكلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، ومحاضرًا في الدراسات العليا ، ومناقشًا ومشرفًا لرسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه . في قسم اللغة العربية في الكلية المذكورة ، حتى أُحلتُ إلى التقاعد بتاريخ ٢٠١٢/٦/٥م .

–ترقيتُ إلى الأستاذية بتاريخ ٢٠١٢/٦/٣م

موبايل : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فايبر ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فيسبوك : البروف النحوي

للمؤلف

١–الله والتقدم المادي عند الإنسان رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٤٦ لسنة ١٩٧٧م.

٢–اغتنم شبابك في طاعة الله ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد بغداد ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م ، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد٢٩٩ لسنة ١٩٨٥م .

٣–فضل الصلاة وحكم تاركها في الكتاب والسنة ، أو رسالة إلى تارك الصلاة ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٨٥م رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٦٦ لسنة ١٩٨٦م .

وهذه الكتب الثلاثة نفدت نسخها ولم أُعد طبعها ؛ لأنَّها لم تكن وقتئذ مسجلة على قرص ، أو مخزونة في حاسبة .

٤–إعجاز القرآن الكريم . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد٨٠٢/ لسنة ٢٠٠٩م وهو كتاب منهجي كنتُ أدرِّسه لطلاب المرحلة الرابعة في قسم التربية الإسلامية / كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل / أعددتُه حسب المنهج الذي قرّرتْه عمادة الكلية المذكورة .

٥–مواعظ إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٣ لسنة ٢٠٠٩م

٦–دروس إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٤ لسنة ٢٠٠٩م

٧–بين الماضي والحاضر / قصائد إسلامية . وهي من نظمي وشعري ، يضمّ ثماني قصائد ، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٥ لسنة ٢٠٠٩م وقد غيّرتُ عنوانه إلى : صيحاتي بأُمّتي السبية في ثماني قصائد إسلامية

٨-المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٦ لسنة ٢٠٠٩م

٩-(ما) في القرآن الكريم / دراسة نحوية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٧ لسنة ٢٠٠٩م

١٠-دراسات في النحو القرآني . . رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/٨١١ لسنة ٢٠٠٩م

١١-من مزاعم النحاة . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٨ لسنة ٢٠٠٩م

١٢-النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٣٢ لسنة ٢٠١٠م .

١٣-(ظن) واخواتها والتضمين في القرآن الكريم ، وقد دمجتُ هذا الكتاب في كتابي السابق .

١٤- الوجوه الدخيلة في كتب الوجوه والنظائر ، لفظ (الذكر) نموذجًا ، مع بحث صغير بعنوان : لغة القرآن فوق نحو النحاة رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٩٨ لسنة ٢٠١١م

وقد جعلتُ الموضوع الأول من هذا الكتاب ضمن أحد مواضيع التمهيد في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، تحت عنوان دراسة نموذجية ، وجعلتُ كلامي في الموضوع الثاني ضمن التمهيد في كتابي : من مزاعم النحاة .

١٥-لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٢ لسنة ٢٠١٤م

١٦-اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٣ لسنة ٢٠١٤م

١٧-طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه . . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٤ لسنة ٢٠١٤م

١٨- الأضداد في القرآن الكريم